
على متن حقيبة
ندى ناصر

# على مَتن حقيبة

ندى ناصر

مزّقتُ ورقة الإهداء !

هل تشعر بتحسّن الآن ؟



آسفة لكل الذين خيّبتُ أملهم حينما لم أنكسر

و واصلتُ الحياة دونهم على نحوٍ أفضل !



إلى جارتي التي تكسر الأطباق في النهار ..

وترتطم صرختُها الجريحة بالنوافذ المغلقة ..

و تهتزّ قناني عطوري من صفقها للأبواب ..

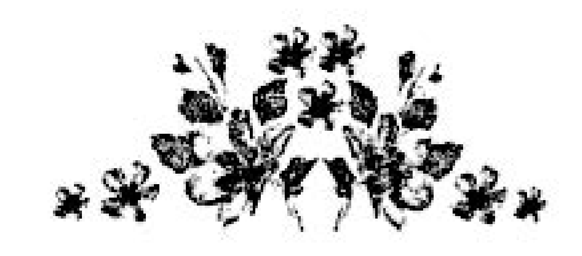
تُنفِق على صغارها الضامرين ..

و تنوح إذا ما ناموا جميعًا ..

لأنها عالقةٌ ما بين رجلٍ عربيدٍ و خمسة أطفال ..

إليكِ هذا الكتاب !

# نُوسْتالجَيا



حاول ألاّ تكذب على امرأةٍ ترى الحياة من منظورٍ ثلاثيّ الأبعاد

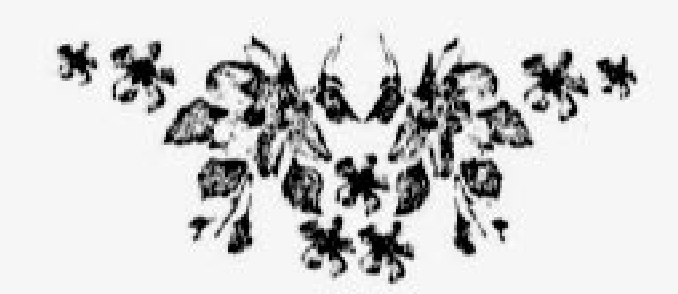
و تستطيع أن ترسم ظِلّ الأشياء و ظهرها





العلاقات أيضًا لها مدة صلاحية ..

من الخطورة استعمالها بعد انتهائها !



لستُ وجهي الكئيب في هويّتي ..

و لا المتأنّق في المرآة كل صباح ..

لستُ أصابعي النحيلة ..

التي ينتهي الطريق قبل أن أنتهي من طلائها ..

فأصافحك بها قبل أن يجف ..

لستُ شعري المتناقض ما بين أذني و جيب بنطالي ..

و لا جسدي الذي لا يعرف كيف يكبر ..

لستُ الكيلوجرامات المتأرجحة فوق الخمسين ..

و لا السنتيميترات الثابتة فوق المئة والستين ..

و لا السنوات الهلامية فوق الثلاثين ..

لستُ صوتي الذي يعجبك و لا يعجبني ..

و لا عطري الذي كلما فَرِغَ ؛ عاودتُ شراءه ..

لستُ الاسم الذي اعتدتُ أن أملأ به وثائقي ..

و لا ذلك المستعار الذي كنتُه في زمن الطيّبين !

لستُ حتى ما أكتبه ..

و لا ما يقوله عنّي الآخرون ..

أنا الشيء الذي يمكنك أن تتعرّف عليه في الظلام ..

دون أن أهمس بأيّ كلمة ..

و دون حتى أن تلمسني ..

عدا ذلك أنت لا تعرفني ..

و لم يحدث أن التقينا !

هنا ..

حيث السلّم الخشبيّ ..

و العلّيّة ..

حيث لا شيء يمنع تسرّب المطر من الأسقف الشجريّة ..

حيث يصل سُمك الحائط إلى ذراعين ..

و تكاد النوافذ أن تكون أنفاقًا صغيرة ..

هنا حيث لا يمكنك أن تكون بمفردك ..

ومن حق أيّ شيء له روح ..

مرئيّاً كان أو لا مرئيّاً ..

معروفًا أو مجهولاً ..

زاحفًا أو طائرًا ..

بقائمتين أو أكثر ..

أن يُقيم معك في أيّ فجوة كانت ..

مهما بذلتَ لتمنع ذلك ..

هنا حيث مسقط رأسي ..

حيث غادرتُ يومًا رضيعةً ..

وعدتُ كبيرةً بما يكفي لأسافر وحدي ..

متمدّنةً بما يكفي لأبدو نشازًا ..

متأفّفةً ، مرتعبةً من كل شيء ..

هنا حيث كان صوتي – على حدّ قولك – مُثقّفًا ..

حيث أضحكني حينها أن يكون الصوت مُثقّفًا ..

هنا أحاديثنا الأولى ..

أحاديثنا الخديجة ..

عندما لم نكن نتوقع أن يمتدّ العمر بها إلى أربعة أعوام ..

ثم تموت بعد ذلك في انسحابٍ مفاجئ ..

هنا حيث كنّا لا نبالي ..

نستلذّ باعترافاتٍ خطيرةٍ ..

كل ما نخشاه أن يضحك أحدنا في الظلام ..

و يستيقظ النائمون في الجوار !

هنا ؛ حيث للهدوء صوتٌ واضح ..

نسمع احتكاك الأقمشة ..

نسمع فرك الأصابع ..

نسمع ازدراد الريق ..

نسمع انزلاق السحّاب ..

نسمع أقدام الجن على السطح ..

نسمع ارتطام حشرةٍ بالحائط ..

نسمع حتى صوت النوايا ..

و لا أسمعك !

هنا حيث ماء الصنبورِ باردٌ ..

و مقبض البابِ باردٌ ..

ومقبس الضوءِ باردٌ ..

و زجاج النوافذِ باردٌ ..

و دهان الآلامِ باردٌ ..

وحده الحنين إليكَ مُتّقدٌ ذو أدخنةٍ ..

يصلح أن يكون مِدفأةً !

لا شيء هذه المرة ..

أكتبُ لأتأكّد ما إذا كنتُ لا أزال قادرةً على الكتابةِ أم لا ..

و هل يمكنني ذلك بأصابع هشّمها انسحابك !

في لحظةٍ ما ..

عند منتصف الحديث ربما ..

لـمّا كان وجهك مُعرِضًا عني ..

سارحًا في المشاة ..

مدهونًا بالأسى ..

كان عليّ أن أختار ..

إمّا أن أكون زوجةً أو كاتبة !

يا للسخرية !!

رأيتُ بعضي يغادر المكان مُكرَهًا ..

يبتعد شيئًا فشيئًا بساقٍ عرجاء ..

و يُومِئ لبعضي الآخر أن يتبعه !

بقي صوتي حاضراً ..

يُهَمْهِمُ إذا ما لزم الأمر ..

ليُداري حقيقة بعضي المنصرف ..

أدركتُ حينها بأني ما عدتُ كاملةً معك ..

و أنّ شيئاً ما سيظلّ غائباً في قادم الأيام بيننا ..

ثم ألهو في أيّ حديثٍ معك سوى الكتابة ..

ثم أنام ، و أشعر بخيط الضوء المتسلّل من النافذة ..

أعرف بأني لم أحكِم إغلاق الستائر ..

أدفن رأسي في الوسادة ..

أتخيّل انسحاب الضوء ..

أتذكّر انسحابك ..

ارفع رأسي بذعرٍ ..

أجد الضوء ..

و لا أجدك !

كتفك ؛ شرفتي إلى العالم . .

لا تكون مُشرّعةً إلاّ عند عناقك . .

مضى زمنٌ طويلٌ والشرفة مغلقة !

كنتُ في كل نهايةٍ قبلك - أو حتى بَعدك -

أعرف لماذا افترقنا . .

إلا أنت !

آلمني أني لم أعرف السبب . .

- أو أنه لم يكن مُقنِعًا بالأحرى -

إذا ما سألني أحدٌ عن نهايتنا كنتُ أتلعثم في الإجابة . .

و ينتهي الأمر بي إلى الصمت !

طيفك يعتذر نيابةً عنك . .

يملأ فراغك . .

يُبرّر غيابك . .

يأخذني في مشوارٍ طويل . .

يجوب شوارع المدينة . .

يخوض في أحاديث كثيرةٍ . .

و لا يُفلِتُ يدي !

( طيفكَ أكثر منك لباقةً )

إنصافًا للواقع الذي نجتهد كثيراً في إنكاره ..

وسيكلوجيّة العقل التي نحاول عبثًا أن نعارضها ..

و الحقيقة التي نزيّفها من أجل أن يُصفّق الجمهور ..

هل تتذكّرني ؟

بالطبع نعم !

و توثيقًا للشجاعة التي أملكها و لا تملكها ..

للأقنعةِ التي تجعّدَ وجهك خلفها ..

و تهدّلَ حاجباك ..

للصدق الذي يُرعِبك منّي ..

للكذب الذي تتجمّل به ..

و الأقاويل التي تتوجّس خيفةً منها ..

و تحاول بأيّ شيءٍ أن تكمّم فمي ..

أنا أيضًا أتذكّرك !

أنساكَ أحيانًا ..

غير أنّي أتذكّركَ إذا ما رأيتُ واحدةً من نسائك ..

إذا ما بحثتُ عن شيءٍ في أدراجي ..

و تعثّرتُ بأشيائك !

أتذكّرك إذا ما سألني أحدٌ ..

عن إمكانيّة أن يكتفي الرجل بامرأةٍ واحدةٍ ..

في زمنٍ يغصّ بالنساء المتاحات ..

إذا ما تحدّثوا في مجلسٍ عن القبيلة و المدينة ..

و الوسامة و الدمامة و فارق السنوات ..

أتذكّرك إذا ما سمعتُ نغمة رسائلي النصية ..

إذا ما رأيتُ طيفاً شارداً ..

أو مُغلّفًا مجهول الهويّة !

أتذكّرُكَ إذا ما احترتُ في أمرٍ ولم أُخبِر به أحداً ..

إذا ما أطَلَّ رأسٌ من الماضي أو اختفى ..

إذا ما أقسم أحدٌ ألاّ يغيب .. ثم غاب ..

أتذكّرك إذا ما عدتُ لأصحّح مقاس ألبستي الجديدة بمقاسٍ أصغر ..

إذا ما مررتُ ببائع الأحذية المجاور لبيتنا ..

مُحمّلةً بأكياسٍ كثيرةٍ ..

و سارع في مساعدتي !

أتذكّركَ إذا ما تجاهل السائق اتّصالي ..

أو تأخّر في الوصول ..

إذا ما لوّحتُ لسيارة أجرةٍ و لم تتوقّف ..

إذا ما انطلقَتْ بي أخرى قبل أن أُغلِق بابها !

إذا ما سئمتهم كلهم ..

و مشيتُ في شوارع الحي ..

الـمُتّسخة بالبصاق ..

المزدحمة بالزنوج والهنود والأفغان ..

إذا ما تباطَأَتْ سيارةٌ فارهة ، مُظَلّلة ..

و انتظَرَتْ أخرى مخلّعة إلى جانب الطريق ..

بنافذةٍ مفتوحةٍ ..

و تمتمات بذيئةٍ أو غير مفهومةٍ !

أتذكّرك إذا ما قاتل رجلٌ من أجل الزواج بامرأةٍ ..

و لـمّا تزوّجها أهملها !

إذا ما تأخّر في العودة إليها ..

و لـمّا عاد لم يجدها !

أتذكَرك إذا ما نسيتُ أنّي قد نسيتُك . .

وأنّي أتفيأ بظلٍ آخرَ ليس بظلّك . .

وأنك مركونٌ في أقصى رفوف ذاكرتي . .

على وجهك يتزايد سُمك الغبار !

لا تقُل نسيتكِ . .

كلانا يعرف أنك تكذب . .

قُل فقط :

متى يحدث أن تتذكّرني ؟

والآن ..

كيف أمسى كبرياؤك الزائف ؟

هل ما زلتَ تعتقد أن غيابكَ سيدفعني للبحث عنك ؟

هل ما زلتَ تُصِرّ على أنّ الالتصاق وحده هو الحب ..

والمسافة هي الإهمال ؟

هل ما زلتَ تُصدّق أنّ الصمت يعني النسيان ؟

و أنّ البطل لا يموت في مُنتصف الحكاية ؟

هل يبدو أنّي نسيتُك حين لا أكترث لشأنك ؟

هل يبدو أنّي أحبك حين تتّسع حدقتاي في صدفة لقاء ؟

لا تأخذ الأشياء على ظاهرها ..

كثيراً ما تتناقض الحقيقة مع ذلك !

حدّثني على سبيل التهوّر . .

عن نواياك الحسنة التي أساء الآخرون فهمها . .

عن أفكارك السيئة التي أحسنوا الظنّ بها . .

عن أكاذيبك التي مَضَتْ بسلام . .

عن تضحياتك التي ما جَنَيْتَ ثمارها . .

أو حدّثني على سبيل الثرثرة . .

عن هزيمة الهلال . .

عن أصول نشأة القرامطة . .

عن بذور شجرة البرتقال . .

عن أول من بدأ منّا بالإهمال . .

عن أيّ شيءٍ غير ذي أهمية . .

مثلك بارعٌ في اختلاق الأحاديث السطحية !

وأخبركَ بدَوْري عن لعبة المتاهة التي تلعبها الأيام معي ..

عن الالتواءات الكثيرة ..

عن النهايات المغلقة ..

عن اعتيادي على ذلك ..

وتصالحي مع كل شيءٍ يأتي ناقصاً أو معطوباً !

إياك أن تُصدّق أني بذلك أستدرجكَ كي تعود ..

أنا أنصبُ لك فخاً من الحنين ليس إلا ..

أجذبك إلى منطقةٍ غير آمنة ..

وأحذّرك !

أحذّرك من أن تعود إلى امرأةٍ جرّبت الحياة دونك فكانت أجمل !

# النملةُ والحذاء



اقرأ ، ثم اقرأ ، ثم اقرأ ، ثم اكتُب !



# النملةُ والحذاء



أرسم لأصرف انتباهي عن طنين النحلة في رأسي

تلك التي تتخيّر موضعًا لقرصتها القادمة

أرسم لأن الرسم يُشبه الطيران

يشبه الرقص

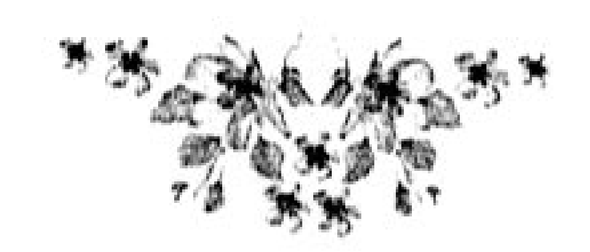
يُشبه التزلّج

يُشبه النسيان





اقرأ ، ثم اقرأ ، ثم اقرأ ، ثم اكتُب !



الكتابة هي فعل تذكُّر ..

أكثر منها فعل نسيان !

هي الهاتف الذي يُجيبك ..

عندما تكون كافة الخطوط الأخرى مشغولةً !

ليس لدى العالم وقتٌ يتّسع إلى شكواك ..

لا بُدّ أن تبتكر طريقةً تمارس فيها تذمّرك ..

حنينك ..

توقّعك ..

ترقّبك ..

توجّسك ..

يقينك ..

لهفتك و غضبك و رضاك ..

دون أن يكون هنالك شخصٌ على الطرف الآخر ..

كأن تكتب إلى نفسك على سبيل المثال !

و أنا أكتب كي أشفى . .

كي أشفَى . .

كي أنسى . .

كي أتذكّر . .

كي أفهم . .

كي أُفهم . .

كي أكذب . .

كي أغيّر أقوالي . .

كي أخطئ . .

كي أحرّز أخطائي دونما اعتذار . .

كي أرفعك عاليًا . .

كي أقتُلك . .

كي ألكز خاصرة العالم . .

و أعبث برأس القلم في الوجوه المتغطرسة على اللوحات . .

و أفقأ عين المتلصّص من ثقوب الأبواب !

في وقتٍ كهذا ..

عندما أفقد شهيّتي إلى الحياة ..

و أتحوّل إلى شجرةٍ يابسةٍ لا تغادر مكانها ..

و أنظر إلى الأشياء التي كان يسيل لها لُعاب شغفي ببلادةٍ ..

من صالح الكون أن أكتب ..

من صالحك أنت تحديداً أن أكتب ..

كي لا أرتكب حماقةً أخرى ..

كي أبتلع صوتي الجريح ..

و أبقى هادئةً وديعةً في مكاني ..

و كأنك لم تُخرمش صحائف أعمالي ..

و كأنك لم تنزع قلبي ..

و كأنك لم تمضغ أصابعي !

ما خلا رجلٌ بامرأةٍ ..

إلاّ كان الشيطان ثالثهما ..

و ما خلوتُ أنا بنفسي ..

إلاّ كانت الكتابة ثالثنا !

لا شيء يفعل بي ما تفعله الكتابةُ ..

عندما أتأرجح على شفا هاوية ..

ويتداخل الضحك والبكاء ..

عندما تتشابه الأشياء ..

ولا أعود أُفرّق بين وقع الحمام على ظهر المكيّف ..

وبين وقع المطر ..

بين الألعاب الناريّة والرصاص ..

بين الصرخة والزغرودة ..

بينك وبين الأوغاد قبلك ..

تفكّ الكتابة هذا التشابك !

عندما لا يُجيب الطبيب على هاتفي ..

و ترتفع النافذة إلى السقف ..

و يتحوّل الباب إلى حائط ..

و الظلال إلى أشباح ..

و يُتكْتِك المؤقّت تنازليًا ..

و يتعرّق جبين الدّمى ..

أكتب !

لأن الأشياء الجميلة لا تكتمل ..

و لو اكتملَتْ لسئمتُها ..

و لأن الزمن لا يعود إلى الوراء ..

و لو عاد لفعلتُ الشيء نفسه !

و لأني أجهل الآتي ..

و لو علمتُه ما غيّرتُ شيئًا قبله ..

أكتب !

لأنَ الكلمة التي أتفوّه بها لا تُستردّ ..

و لأني أتأخرُ في الردّ حتى لا يعودّ هنالك من يسمعني ..

أكتب !

أكتب ؛ لأن أحدَهم قد ينصرف عند منتصف الكلام ..

و يترك الباقي متدلياً من فمي في انزلاقٍ مفاجئ !

أكتب ؛ لأني سئمتُ صوتي !

أكتب ؛ لأن الكتابة لا تجعل التحدّث إلى الآخر حاجةً مُلحّةً ..

و تعفيني من حرج الإفصاح إلى أذنٍ لا تُصغي !

أكتب كي لا أكترث بالوقت المتبقّي على المغادرة أو الوصول ..

أكتب كي يتحوّل الناس إلى فقّاعاتٍ صابونية ..

تنفجر بلمسةٍ واحدة ..

أكتب كي أتعرّف إلى نفسي ..

كي أنصتِ إلى أفكاري ..

كي أقاوم رداءة العالم !

ربما تلزمني ( صديقة ) ..

أثرثر إليها إذا ما امتلأ فمي بالحديث ..

و ربما تُغني الكتابة عن الصديقة ..

لا أعتقد أنّ للكاتب أصدقاء حقيقيّين أصلاً ..

إنهم يَعْبُرُونَه كإشارةٍ ضوئية ..

توقّفوا عندها لدقيقتين ..

قد يعرفه الكثيرون ..

لكنه في الأصل ؛ وحيدٌ !

و أنا أفكّر ..

مَن قد يهمّه أمر فرحي ؟

مَن قد يُشكّل ألمي فارقًا في يومه ؟

و عندما تكون الإجابة : ( لا أحد ) ..

أزداد تعلقًا بالكتابة !

أجمل ما في الكتابة ؛

أنّ بمقدورك أن تُسدّد ركلةً إلى العالم من تحت اللحاف . .

بمقدورك أن تقتصّ للنّمل من الأحذية !

أن تكون كاتبًا ، يعني ؛

أن تقول شيئًا عاديًا بطريقةٍ غير عادية !

أن تكون كاتبًا ، يعني ؛

أن تتحدّث عن قلّة الأدب بأدبٍ !

أن تنمو مثل شجرةٍ لا تكترث للحائط . .

تقتلع البلاط . .

تتوغّل في التراب . .

تعترض الطريق . .

تتجاوز علوّ الأسوار !

أحيانًا ..

نحتاج أن نقول الحقيقة القديمة بصياغةٍ أخرى جديدة ..

لأن الكلمة التي تألفها الأذن ..

لا يعود لها تأثيرٌ !

والنصّ الناجح لا يُثير إعجاب البعض وحسب ..

يُثير حنق البعض أيضًا !

الأمر ليس مُسلّيًا على الإطلاق ..

ثمّة ضريبة ندفعها قبل أن نُتقِن الكتابة ..

لكنه من الجيد أن تحتفظ بحماقاتك في درجٍ خاص ..

تعود إليها كلما أردتَ أن تقيس الفرق بين ماضيك وحاضرك !

وأنا مدينةٌ لأولئك الذين كتموا ضحكاتهم ..

عندما كتبتُ بركاكةٍ في أول المشوار ..

و الذين ما زالوا يلتمسون لي عذر الخداجة !

جُؤار المُنبّه



الرسم طريقةٌ قويةٌ وفعّالةٌ في تشفير الذهن

لستُ قلقةً بشأن ما يمكن أن يأتي لاحقًا أو لا يأتي

ما دمتُ أرسم فإني لا أنتظر أحداً

ولا أُفكّر في شيء !

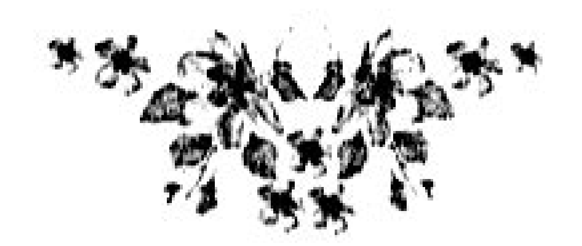




السعادة التي تبنيها على تعاسة شخص آخر

هي تعاسةٌ ستعود إليك في زمنٍ آخر

من شخصٍ آخر!



يُقال بأني ندى ..

يُقال بأني أمٌ ..

و أني أحببتُ وغداً ..

و أني هنا منذ أعوامٍ عديدة ..

أُفرِغ مستنقع ذاكرتي بملعقةٍ صغيرة ..

و أُفلي رأس أيامي الشعثاء !

لستُ متأكدةً من شيء ..

كلّ ما أتذكّره أني فقدتُ طفلين في ظهيرةٍ ما ..

وما زلتُ أنتظر أن تعود بهما الحافلة !

الخبر السيء :

أنّي ما زلت ساذجةً أحيانًا ..

الخبر السعيد :

أنّي أقلّ سذاجةً من ذي قبل !

لا بُدّ أن تكون هذه السنوات قد أحدثت فارقًا في عقلي ..

ليس من المعقول أني مازلتُ بمستوى السذاجة ..

التي كنتُها حين التقيتُك أوّل مرة ..

و إلاّ ما كنّا قد افترقنا !

الأمر المحتمل :

أن ألتقي بك في صدفة الشارع ..

الأمر المؤكّد :

أن أعرف وجهك الكئيب ولا تعرفني !

الأمر المستحيل :

أن أعيرك اهتمامًا ، أو أعاود طرق أبوابك المدهونة بالبصاق !

إنّه الخلاص ..

ذلك الذي أتحقّق منه ..

في كل مرة تُرغمني فيها الأمومة أن أتعثّر بك ..

و أستشعر لذّة خلاصي !

أعبركَ كجسرٍ متهالك ..

يُطقطق ، يهتزّ ، يتفزّز ..

ينتهي إلى الضفة التي أريد ..

ينتهي إلى صغيري ..

لم يسبق أن زرتُ مقبرةً في حياتي ..

غير أنّي حين زرتُ صغيري ..

و رأيتُك على هامش الموقف منزويًا تراقبنا ..

تعرّفتُ إلى شكل القبور !

هسيسها ، عتمتها ، رائحتها ..

توقّفها عند زمنٍ قديم !

الجميل في الأمر ..

أنّ سائقي الخاص كان ينتظرني إلى جانب سيارتك تماماً ..

و بمقدوري أن أنصرف متى أشاء ..

إلى حيث أشاء ..

دون إذنك ..

لأسلك أيّ طريقٍ لا ينتهي إليك !

قد أبكي قليلاً لأن صغيري لم يعد يشبهني كما كان ..

و لأنك قد أفسدتَ مشروع الولد البار ..

إلاّ أنّ شيئاً ما في صدري ..

كان يشعر بنشوة التحرّر من قيودك الصدئة ..

كان يحمد الله كثيراً أنك لم تعد شيئاً سوى لطخةً في الماضي ..

أعرف جيداً كيف أغسلها ..

و جسراً متهالكاً توقّفتُ عن عبوره !

أنا النهاية التي ستأخذك إليها كل الطرق ..

المستقيمة منها والمتعرّجة ..

القصيرة والطويلة ..

الوعرة والممهّدة ..

الـمُضاءَة والمعتمة ..

الهاجعة والصاخبة ..

أنا الحتميّة كما الموت ..

المستحيلة كما الخلود ..

أنا يا وجعي القديم ، ضمّادتك النازفة ..

قضيّتك المؤجّلة ..

الوجه الآخر لحياتك الممكنَة ..

الباب الموارب إلى جنةٍ وشيكة ..

الإجابة الصحيحة على أسئلتك المعقّدَة !

أنا الأحجية الصعبة ..

الخيط الرفيع ما بين الممكن والمستحيل ..

أنا الوسادة التي تحاول أن تستعيد شكلها ..

في كل مرة ترفع عنها رأسك !

أنا الاستثناء الوحيد لكل ما تعرفه عن العلاقات ..

أنا أمك !

يحدث أن تعود إلى نفسك من مشوارٍ غامضٍ ..

بهيئة رثّةٍ ..

و ترفض التحدّث في الأمر ..

لأنك أنت أيضاً لا تدري من أين جئت !

لكنك تطلب أن تستريح قليلاً ..

أن تنام و لو لمرةٍ واحدة ..

دون أن ترى حلماً مُفزِعًا أو حتى جميلاً ..

دون أن تتعرّق و تُقلّب الوسائد المبلّلة ..

دون أن يكون هنالك غائبٌ مُنتظَر ..

دون أن تفكّر في احتمالات الرجوع أو استحالته ..

دون أن تلاحق ظلاً شارداً ..

أو يلاحقك شبحٌ لحوح !

دون أن تراقب الوقت ..

أو تكترث لعدد الساعات القليلة المتبقّية على جؤار المنبّه !

ثم أغفو . .

ثم تأتين رغم أنف العمر والمسافة . .

بجديلتكِ الطويلة . .

و عينيكِ القلقَتينْ . .

و ابتسامتكِ المبتورة . .

لا تقولِين شيئًا . .

تتحرّكين كطيفٍ صامتٍ بين الغرف . .

أصنع و إيّاكِ لفائف الخبز المحشوّة بالمربّى . .

أفتّش في الثلاجة عن شيءٍ لم يتعفّن بعد . .

كل ما فيها قد تعفّن !

ـ لماذا المربّى ؟ وماذا تعني العفونة ؟

ألمسك بحذر . .

أحتضنكِ بكلّ خواء المهجورين . .

بكلّ فزع الأمهات في الحروب . .

ثم أستيقظ !

يبتسم السقف ..

و يؤكّد لي بأنه ما من أحدٍ هنا ..

واني ما زلتُ وحدي في حجرتي إياها منذ ثمانية أعوام !

و أنكِ في مكانٍ آخر ..

يبعد ألف كيلو متر على أقلّ تقدير ..

و لا يمكنكِ أن تشقّي هذا الطريق في بضع ثوانٍ ..

و تخترقي الأبواب المغلقة ..

مهما بدا ذلك حقيقياً ..

و إنْ سالت على الوسادة دمعةً ..

و إنْ تغيّرت مواضع الأشياء ..

و إنْ علِقَت بأنفي رائحتك ..

إنه منامٌ ليس إلاّ !

لم تعودي طفلةً كما في آخر عشيّةٍ التقينا ..

تتحوّلين تدريجيًا إلى صبيّةٍ جميلةٍ ـ يُقال بأنها ابنتي ـ

أصدّق ذلك أحيانًا ..

غير أنّ الشكّ يعاودني إذا ما رأيتُ مقاس ألبستك ..

و أتساءل بهلعٍ : أين كنتُ حينما كَبُرَتْ إلى هذا الحد ؟

أعلم أنكِ تكبرين في مدينةٍ أخرى ..

في بيتٍ لا أعرفه ..

في شارعٍ لا أعرفه ..

في حيٍّ لا أعرفه ..

لكنّ شيئًا يأبى أن يُصدّق ذلك معي !

أعود إلى دُرجي ..

أُفتّش بين أوراقي ..

أُخرج وثيقة ميلادك ..

ميلاد طفلين في عامين متتاليين !

ـ لا يمكن لهذه الورقة أن تكون وهمًا ـ

أنا منهكةٌ يا صغيرتي وحسب ..

أستحضركِ إذا ما أردتُ أن أهمّش ألمًا يُقرّضني ..

إذا ما أردتُ أن أبكي فأستريح ..

أغسل بكِ ما يعْلق في صدري ..

أضمّد بكِ جراحًا سطحيّة ..

يا جرحي الغائر :

أنا أصحّح بكِ ما يُفسده الآخرون بعدك ..

لا شيء بمقدوره أن يجعل من كل وجعٍ سواه ( تفاهةً ) ..

إلا أنتِ !

بيني وبينكِ حياةٌ مؤجَلة ..

قصصٌ مفتوحة النهايات ..

أنصاف حكايات ..

إلى أن نُكملها سأظلّ أنتظركِ في المنام !

كل شيء في الحياة يا صغيرتي . .

- كل شيء -

يمشي وِفق الترتيب الصحيح . .

حتى عندما تنفطر قلوبنا . .

و أكبُر وتكبرين في مدينتين مختلفتين . .

و أحيك فساتين كثيرة لا ترتدينها . .

و أرسم لوحاتٍ كثيرة لا ترينها . .

و أغنّي على شرفات الليل . .

و لا تسمعين . .

هنالك تدرّجٌ صحيحٌ لصالحنا !

حتى حينما أخطئ و تُخطئين . .

كل خطأٍ يأخذنا إلى موضعٍ صحيح . .

ما كُنّا سنصل إليه ما لم نُخطئ !

أتمنى ألاّ تقرئي هذا الكتاب ..

أو أن تقرئيه دون أن تعرفي أنّ التي كتبته هي أمك !

أريد أن تكبري بسلامٍ ..

ألاّ تفكّري في غير عرائسك ..

في تناسق فساتينك و أحذيتك ..

في طريقةٍ مبتكرةٍ لتسريح شعرك الطويل ..

في طريقكِ المعبّد بالزهور ..

المرصوف بالخير الكثير ..

أريد أن تكبري دون أن يتخلخل بلاط جنتك ..

أن تنبت زهرةً في كل شبرٍ تطأه قدماك الطريّتان ..

أن يحطّ طيرٌ على كتفك ..

و فراشةً على أنفك ..

أن تكوني مبعوثة الفرح إلى هذا العالم الكئيب !

# أفٍ لكما !



حاجتي إلى الرسم

تُشبه حاجتك إلى النساء



هل يصمد الحب أمام شخصٍ رائع ..

لكنّ لأنفاسه رائحةٌ نتنةٌ على الدوام ؟

وهل يكون الانسحاب هنا جُرمًا غريزيًا لا تغفره الكرامة ؟

وهل يكفي أن أعترف بذلك لشخصٍ آخر ..

يُصرّ أن يعرف الحقيقة ، ثمّ لا يُصدّقها ..

ليظلّ يطوف حول كعبة شكوكه ؟

أُفٍ لكما !

جميعهم يقضم جانباً منّا ..

ثم يغادر ..

حتى أولئك الذين جاؤوا تفريجاً لكُربة ..

استحالوا في نهاية المطاف إلى كُربةٍ أعظم !

والدمعة التي لم تسقط على سجادتي ..

و سقطت على كتفك ..

هي استثمارٌ خاسر ..

لا يمحق الحزن ..

إنّما يُربِيه !

موجوعةٌ و مُطمئنّة ..

لا يتوالى عُسران إلاّ جاء يُسرٌ بعدهما ..

أيها العُسرانِ :

أفٌ لكما !

بلغتُ من الإعياء ما يجعلني أجثو عند تقاطعِ خطر ..

لقطارين على متنهما تسافر ثقتي ..

و عشمي .. و عمري ..

و أحلامي ..

إذا كنتَ قد صحوتَ يوماً ..

و أنتَ لا تملك من أمسك سوى ألبوم صور ..

فإنك تعرف جيداً نوع الشعور الذي أعنيه !

أسخر من وجهي القديم ..

اعتقد بأني قد تغيّرتُ كثيراً ..

أراهن على ذلك بأشياء كبيرة ..

أقول ذلك قبل أن أعاوِد الكَرّة ..

فأكتشف أني ما زلتُ أُحبّ بذات الطريقة !

لا شيء تغيّر ..

سوى أنّي أحبك الآن أقلّ ..

و أتجنّبك أكثر !

لا شيء تغيّر ..

سوى أنّك كبيرٌ في قلبي ..

صغيرٌ في عيني ..

و هذا مأزقي الأكبر !

أظلّ أمنعك من الدخول ..

بينما أدَعُ الباب مواربًا ..

أظلّ أدفعك بعيداً ..

بينما أسأل الله أن يردّك إليّ ردًا جميلاً ..

أظلّ أمتنع عن الحديث معك ..

بينما أكتبك !

الشك والمراقبة ..

لا يمنعان حدوث أيّ شيء ..

إنّما يصنعان شخصاً أكثر ذكاءً من ذي قبل ..

أكثر حذراً ليس إلاّ !

و أنا أيها الـمُخبِر الوسيم :

أحبك و أخافك ..

و الأمان أعلى منزلةً من الحب ..

و اسأل ( ماسلو ) !

كيف أحبك دون أن ينال هذا الحب من كرامتي ؟

كيف أقترب منك دون أن أخافك ؟

كيف أكون معك ( أنا ) كما هي أنا ..

وليس كامرأةٍ أخرى لا تشبهني من أجل أن ترضى ؟

كيف أحتاجك دون أن أبدو ضعيفة ؟

كيف أُقبِل عليك دون أن تُدبِر ؟

كيف أستظلّ برغدك دون أن أبدو شحيحة ؟

كيف أستقيم دون أن تكسرني ؟

كيف ألوذ بكرمك دون أطلب ذلك ؟

تبقى الأشياء جميلةً ما لم نطلبها ..

ما أن نطلبها حتى يترهّل معناها ..

ويضمر الإحساس بها !

هدنةُ صلحٍ أخيرة . .

أرفع بها الحرج عن قلبي . .

وأمنحه فرصةً أخرى . .

ليكرر محاولة النبض إليك دونما خجل !

لا أستطيع أن أستأنف خصامنا إذا ما رأيتُك . .

- تعرف ذلك جيداً ، وتستغلّه أسوأ استغلال -

فتبتسم فقط . .

هكذا ببساطة ، باستهتار . .

دونما أيّ اعتذارٍ آخر . .

وأفقد ذاكرة الوجع . .

أنسى لؤمك وبذاءتك . .

هكذا ببلاهة . .

دونما أيّ مُهلة أو احتجاج . .

كذبابةٍ ..

نسِيَتْ ما حدث قبل خمس ثوانٍ ..

وعادت إليك !

تمتلئ تجاويفي بالحنين ..

و يتمطّى الحب الذي كان غافيًا ..

و يَثِبُ إليك من فراشه ..

- ربّما لهذا تُصرّ أن نلتقي كلما تشاجرنا -

تأتي وفمي ممتلئٌ بالشتائم ..

تأتي وقد حزمتُ حقائبي ..

و أحكمتُ غلق نوافذي المُطلّة عليك ..

و بصقتُ على وميض اتصالك المتتالي ..

تأتي وقد تناورَتْ المرأتان في صدري ..

وطفح الكيل بهما ..

وبلغ بهما التذمّر ما بلغ ..

واتّفقتا على طردك ..

أيًا كانت حُجّتك ، هي في الأصل واهية ..

أيًا كان وجهك ، لن يغفر لك هذه المرة ..

ثم ماذا ؟

ثم تطرق الباب ..

أبتلع شتائمي ..

أُفرغ حقائبي ..

أُشرع نوافذي ..

تُحلق المرأتان في بعضهما ..

تهرشان رأسيهما ..

تنفجران ضحكًا ..

تخجلان ..

تحمرّان ..

تتلعثمان ..

تنسيان – أو تتناسيان –

تفسحان لك الطريق لتتفضّل بالدخول ..

تتسابقان في ضيافتك !

– تبًا لك ولهما –

الآن ، تنزلق ستائر الدكان المعدنية ..

يتوالى انزلاق ستائر الدكاكين المجاورة ..

يتناقص عدد المارّة ..

يخفت الضجيج ..

تنطفئ المصابيح ..

يهجع الشارع ..

تتثاءب المدينة ..

وترتدي بجامتها الكحليّة ..

الآن فقط ، أستطيع أن أصغي إلى الصوت المتهدّج ..

الآتي من القبو في صدري ..

هل أخبرتُك أنّ في صدري قبواً من قبلُ ؟

حسنًا ..

في الليل – وفي الليل فقط –

أستطيع أن أعيد أجزائي المفكّكة ..

وأستأنف علاقتي الغرامية بالكتب !

اششششش ..

ثمّة طيورٌ في رأسي ..

تُفزعها الجلبة فتطير ..

كل ما هنا يجب أن يصمت ..

كل ما هنا يجب أن يسير على رؤوس أصابعه ..

لا يجب أن يرنّ الهاتف ..

لا يجب أن تحوم بعوضةٌ في الأرجاء ..

لا يجب أن يستعجلني أحدهم ..

أو حتى ينتظرني !

حاجتي إلى الهدوء ..

لا تقلّ عن حاجتي إلى النوم ..

لا تقلّ عن حاجتي إلى المال والحب ..

لا تقلّ عن حاجتي إليك !

كيف أُقنعِ جسدي أنَّ السهر أقلّ ضرراً من الضجيج ؟

وكيف أُقنعك بأني حين أخلو بنفسي لا أكرهك ..

و لا أحاول إقصاءك ..

إنما أمارس واجبي نحو هذا الصوت الذي يسكنني !

لِمَ تنزعج إن سهرتُ أقرأ بعدك قليلاً ؟

أنا أصنع معروفًا بعقلي الذي لا يكفّ عن طرح الأسئلة ..

أحاول أن أُطيل من عمر صلاحيتي ..

التي توشك مع كل خيبة ٍأن تنتهي !

أُضيف حجرةً إلى سقيفة إدراكي ..

لأصالحك ..

و أُصالح الأشياء من حولي ..

كفاك تضجراً و حماقة !

في المرات القليلة التي أشعر فيها بالرضا ..

و أهمّ لأتناول الحياة معك بنهمٍ ..

رأفةً بحواسي الجائعة ..

لا ألبث أن أفتح فمي ..

حتى تقذف بكلمةٍ أخرى ..

كلمةً كبيرةً ذات نتوءاتٍ ..

أغصّ بها ..

و أستنزف المزيد من الأيام في محاولة ابتلاعها ..

و أكبُر شيئًا فشيئًا ..

و ينخرط العام تلوَ العام ..

دون أن يشكّل استمرارنا فارقًا يُذكر لصالحنا !

على الخط الفاصل ما بين الوجود والعدم ..

ما بين الحب والكراهية ..

ما بين الاستمرار والتراجع ..

ما بين الشيء وضدّه ..

أقف على قدمٍ واحدة ..

يهتزّ توازني ..

أكاد أسقط ..

دائماً ( أكاد ) أسقط ..

و أظلّ أكابد كي أبقى صامدة !

.

على ظهر أرجوحة ..

أتأرجح ما بين حضورك الجارح ..

و غيابك الحاتميّ !

ما بين صفعة وقُبلة ..

ما بين لا و نعم !

كثيراً ما فكّرتُ في قفزةٍ ..

أخرِس بها هذا الصرير الكئيب الذي أصمّ أذني ..

و اتردّد كلما عُدتَ توشوشني : ( أحبكِ )

و أُرجئ الأمر حتى إشعارٍ آخر !

ثم تنسى أنّي قد صافحتُك مرتين بكفٍ أفلتَها خذلانك ..

و تستهين بامرأةٍ لا تستأذن إذا ما نفد صبرها ..

و عزمَتْ على الرحيل !

ثم ماذا ؟

ثم أعود لعزلتي ..

لكتبي ..

لصمتي ..

لتردّدي ..

اصنع قُرعةً على قصاصاتٍ صغيرة ..

أكتب في كل واحدةٍ منها : ( أريدك ) !

أنفِق الكثير في شراء الأثاث ..

دون منزل ..

كامرأةٍ تشتري كثيراً من ملابس الأطفال ..

وهي عقيم !

إنها آفة الأمل ..

و هي المرة الأولى التي أدرك فيها بأنّ الأمل قد يكون آفة !

ذلك الذي يجعلني أُكرّس جهوداً ..

من أجل غدٍ قد لا يأتي أبداً ..

و يستنزف حاضري على شاكلة صنبورٍ معطوبٍ ..

يقطر باستمرار !

أنا مصابةٌ بالأمل ..

ومعك أنت تحديداً أقول ذلك ..

أتجرّع إساءتك ..

إساءةً تلو الأخرى ..

على ( أمل ) أن تكون الأخيرة ..

أتجاوز عن أكاذيبك ..

كذبةً تلو الأخرى ..

على ( أمل ) أن تَصْدُق في المرة القادمة !

أُنفِقُ من العمر ما أُنفِق ..

على ( أمل ) أن تفعل شيئًا مختلفًا ..

و تفاجئني بشهامةٍ متأخرة !

بالمناسبة ..

غادَرَ الأمل قبل دقائق ..

و تركَ لكَ رسالةً على المنضدة :

( القلب الذي لا يجد الاحتواء الكافي يسهل اختطافه )

و لأننا في الحب لا يمكن أن نضع البيض في سلالٍ متفرّقة ..

فلا عجب أن ينكسر جميعه أيها الشرقيّ ..

أيها المتغطرس ..

أيها الوسيم وحسب ..

أيها السلة الوحيدة !

ليس بالضرورة أن نكتمل لنستحق الحب ..

وليس بمقدور الاختلاف أن يفرقنا متى ما أردنا أن نستمر !

عندما أحبك كامرأةٍ لا كرجل ..

لا يحبك قلبي وحده ..

جسدي يحبك معي ..

هاتفي يحبك معي ..

أدراجي تحبك معي ..

خزانة ملابسي و عطري و حقيبتي ..

حتى محفظة نقودي تفعل ذلك معي ..

ستجد شيئاً يشير إليك في كل شبرٍ من عالمي ..

في صوري ..

في رسائلي ..

في خلفية هاتفي ..

في كلمة مروري ..

في قلائدي ..

في كشف حسابي ..

في صدَقَتي ..

في دعائي ..

حتى في ارتفاع حذائي ..

أنا أقترب إليك !

أُقحمكَ في كل تفاصيلي ..

ثم أضع كل ذلك في سلةٍ واحدة ..

و أعلّقها بخيوطك الوهمية ..

فقط لأني امرأةٌ ولستُ برجل !

و عندما أتلقّى صفعتك الكبيرة ..

و يهتزّ عالمي الصغير ..

جميعنا يسقط ..

ويتكبّد جسدي فاتورة السداد الأكبر ، و يتضاءل ..

حتى يتقعّر خصري ..

و يتنتأ عمودي الفقريّ ..

تتهدّل فساتيني ..

و ينصل بنطالي !

هل تعرف ماذا أفعل بعد ذلك كي أنسى ؟

أنفِق الكثير من النقود في أشياء لا أتذكّرها ..

أحدّق في المرآة طويلاً لأن أحداً يشبهني لكنه ليس أنا !

أنام كثيراً ..

اجوع كثيراً ..

و أكتب كثيراً ..

و لا أنسى !

نحن النساء ..

متشابهاتٌ في عين الرجل ..

الذي يرى المرأة بمنطق البيض الملون ..

الذي يعتقد بأن أربع نساءٍ متاحات ..

يمكنهنّ إقصاءُ واحدةٍ من الذاكرة !

امرأةٌ واحدةٌ حقيقية ..

عندما تلتقيها ..

ستقلب موازينك الشرقيّة ..

ستهزم عقائدك الوراثيّة ..

وتكسر بيضك الملوّن !

لا أخفيكِ أني أسامحك أحيانًا ..

و أتراجع عن ذلك أحيانًا أخرى ..

و لا أدري كيف يتعامل الله مع تناقضٍ كهذا !

ما لن أخبرك به ..

و ستعرفه من تلقاء نفسك ..

أنّي قد أمكث قليلاً بعد نهايتنا ..

أراجع تصدّع الأشياء ..

أتتبّع سرب النمل من أين جاء ..

أفتّش في جيوب الغيب ..

أبحث عن الحكمة من كل ذلك !

أودّعك بعدها بأناقة ..

ثم أهدم الجسر الذي غادرتُك من خلاله ..

كي لا تلحق بي أو أعود إليك !

تظلّ تنتظر الأسوأ دائماً ..

لتكتشف بأننا ( كنّا ) بخير !

لكن هذا الاستدراك المتأخر لن يُجدي في كل مرة ..

قد تراني من بعيد ..

أُلوّح من الضفّة الأخرى ..

أبتسم لك ..

غير أنّ ثقتي بك عود ثقابٍ ..

ليس بمقدورك أن تستعمله مرتين !

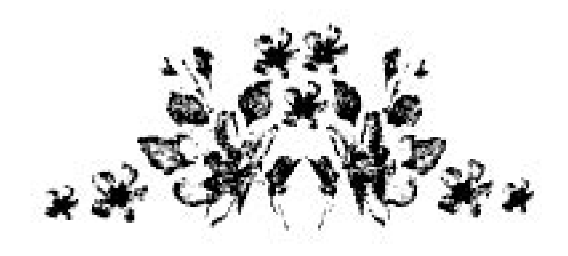
و يتشابه الأذى في كل مرة . .

عندما أردتُ أن ألعب معكما لعبة الفروق العشرة . .

لم أجد سوى فرقًا واحداً فقط : ( الهويّة ) !

أفٍ لكما !

# فلسفةٌ نِسْوَنُولُوجيّة



قد أحبك بلا سببٍ

لكني حين أكرهك فحتماً هنالك أسباب !





بعضي يريد البقاء

وبعضي الآخر يريد الفرار

ولأن بعضي الآخر لا يدري أين يذهب

ما زلتُ كلّي هنا !



وجود كومة لذائذ

لا تعني أبداً أن نمارس الاغتراف

أحبّ شعرك المتساقط ..

سيارتك المتهالكة ..

كبرياؤك المؤقّت ..

أسئلتك الفاضحة ..

قميصك الوحيد الشاحب ..

عطرك الرخيص ..

أظافرك المقضومة حتى آخرها ..

شريط أغنياتك المعطوب ..

و أكرهك !

أحبّ حبك لي ..

نزقك ، شتائمك ..

مُعدّل الأدرينالين الذي ترفعه في دمي ..

اعتذارك الخائب ..

اختباؤك الكاذب ..

غيابك الوهميّ ..

تلصّصك ..

تنصّتك ..

مكالماتك الفائتة ..

و أكرهك !

أحب عداءك المُعلَن ..

شراستك المكظومة ..

برودك المفتعل ..

تسكّعك المغرور ..

غضبك الصارم ، وارتعاشة خدّيك ..

انسحابك النهائي ..

ثقتك في اللارجوع ، وأيمانك المغلّظة ..

عودتك بعد كل ذلك ..

و أكرهك !

لا أستطيع أن أغفر يباسك في فصل الربيع ..

لا أستطيع أن أغفر تصحّرك الدائم ..

و كأني لم أُمطِرُ كثيراً ..

و كأنّي لم أشقّ أوديةً في ذاكرتك الجدباء !

لا أستطيع أن أتشبّث بكفٍ زلقة ..

من شيمتها الإفلات !

كن كثيراً ، أو قليلاً ..

كن فائضاً ، أو غائراً ..

كن وقوراً ..

كن نزقاً ..

كن حصيفاً ..

كن أرعَن ..

تناقض كيفما تشاء ..

سأظلّ ضالّتك من النساء !

كتبتُ إليكَ ذات صباح :

بقايا القهوة في كوبين ..

والكؤوس النصف ممتلئة ..

المناديل المجعّدة ..

القرط المكسـور !

الكعكة المقضومة ..

الزهور التي لم تذبل بعد ..

كلها تخبرني بأنّ لقاءنا لم يكن حُلماً ..

و أنّ الله قدّ كلّل صبرنا بخاتمين ومأذون !

كم مرةً يجب أن يتكرّر لقاؤنا لأستشعر حقيقته ؟

ثم لم يتكرر لقاؤنا أبداً ..

وكانت تلك هي المرة الوحيدة !

هل سبق أن شعرتَ بنفسك كبيراً ..

ومحشوراً في زجاجةٍ صغيرة ..

لا يسعك فيها أن تحرّكَ سوى عينيك ؟

هذا ما أستشعره حيال وجودي معك !

نحن نعرف جيداً متى نمثّل لأحدهم حجر أساس ..

و متى نمثّل لوحةً تزيّن الحائط !

أنا لوحةٌ ..

معلّقةٌ بمسمارٍ لم ينغرس في حائطك بشكلٍ جيد !

الحب الذي يتأثّر بحرارة الطقس ..

بمعدّل الكافيين في الدم ..

بالجوع ..

بالنعاس ..

بضغوط العمل ..

بزحام الطريق ..

ليس حبًّا !

إنّه حالةٌ مزاجيةٌ ليس إلاّ ..

و أنا أرفض أن أكون ( حالةً ) لرجلٍ متقلّب !

يأخذني إلى المصحّة بدلاً من السينما ..

أتناول العقاقير المسكّنة بدلاً من الفشار !

أتخزّق بكلماته الإبريّة ..

أتخوزق بأسياخ غضبه ..

و أجاهد كي تمضي ساعةً معه بسلام ..

هذا أكثر من أن تحتمله امرأةٌ لم يبرأ جرحها القديم أصلاً !

من الإجحاف أن تجدني سمكة ..

ثم تقصَّ زعانفي بدافع الحب أو الامتلاك ..

في حين كانت على الشاطئ أصدافٌ كثيرةٌ لن تمانع أن تأخذها !

أن أكون امرأةً ذات مواهب ..

فإني أُمثّل شبحًا ورديًا ..

يخافني الرجل الذي لا يتوقّع من المرأة أن تحتاج شيئًا ..

غير الخبز والبقدونس !

لم أكن أريدك أن تدعمني على طريقة أفلام هوليود ..

و تدمّر مدينةً بأكملها من أجل أن تُقبّلني في المشهد الأخير ..

أردتُ فقط أن تمنحني حجرةً إضافيّةً لمرسمي ..

طاولةً صغيرةً في ركنها لأقصَّ أقمشتي ..

وكلمةً بلسميّةً إذا ما صنعتُ شيئًا جيدًا !

قد أفعل شيئاً أكرهه لأني أحبك ..

لكني لا أترك شيئاً أحبه لأجل أحد ..

إذا لم تعرف كيف تحبُ نفسك كفايةً ..

فإنّ أحداً لن يحبك كما ينبغي ..

لأنّ هنالك خيطاً رفيعاً بين التنازل وامتهان الذات ..

يجهله الكثيرون !

و لأنك ضقتَ ذرعاً من امرأة تجاوزت خريطتها حدود المطبخ ..

و تشبّثت بكتبها و لوحاتها بذعر الـمُختَطَف ..

كان لزاماً أن نتوقف ..

و نعود إلى مواضعنا الأولى ..

أنا امرأةٌ تنتظر سيارة الأجرة ..

و أنت رجلٌ يعبر الشارع و لا يعرفها ..

أنا امرأةٌ تكتب ..

و أنت رجلٌ لا يقرأ في الأدب !

كمقطوعةٍ موسيقيّةٍ راقصة ..

تَثَاقَلَ عزفها فجأةً و توقّفتْ ..

كظَهر شخصٍ أضعناه في زحام ..

و لـمّا استدار كان شخصاً آخر يُشبهه !

كانقطاع الكهرباء في حفلة زفاف ..

كنفاد الماء عند منتصف الاستحمام ..

كمظلّةٍ لم تنفتح عند الهبوط ..

كمغلّف هديةٍ فارغ ..

كتأخُّر طائرةٍ عن الإقلاع ..

كرسالةٍ دعائيةٍ في ساعة احتضار ..

كقلمٍ جفّ في قاعة امتحان ..

كأسطوانة هواءٍ لم تُسعِف الغوّاص ..

ككعب حذاءٍ عالٍ ..

إنكسر على منصّة رقص !

( ذلك هو أنت حين تخذلني ردودك ! )

لا تُعلّق كل إساءة على مشجب الغيرة ..

وجود مُبرّر للقتل لا يعفيك من عقوبة القَصاص !

أنا طائرٌ خُلِق من أجل الفضاء ..

لا تلائمني أقفاصك ..

إن لم تكن غُصناً ..

ولم تكن عُشاً ..

فلتكن طيراً ..

علّنا نلتقي في صدفة السماء !

عندما تجُبرني أن أختار إحدى الخسارتين :

أنتَ أو نفسي ..

فحتماً لن أخسر نفسي ..

انت أيضاً لن تحترم امرأةً لا تُقدّر نفسها !

كنتُ أركض في مضمارك الواسع جداً ..

كان ممتلئًا بإشارات البداية ..

و الأكثر منها ؛ خطوط النهاية !

و أنتَ نزقٌ ملول ..

تُطلِق صافرة البدء بعشوائية ..

تستلذّ بلهاثي الدائم ..

كنتُ أعرف بأنه ما من سباق ..

و حدي أركض لأنّ خوفًا يلاحقني ..

أو حلمًا شاردًا مني !

لم أصل في مضمارك إلى شيء ..

أدور حول الفراغ ، ألهث و أتعرّق ..

غير أني اكتسبتُ مع ذلك لياقةً ..

تؤهّلني أن أشقّ طريقًا آخر لا يأخذني إليك ..

هل فكّرتَ في هذا من قبل ؟

على افتراض أنّي قارورة . .

فهلاً أحضرتَ مكنستك ؟

مهشّمةٌ على أرضك . .

و أخشى أن تطأني فأجرحك !

أنا محتقنةٌ جداً . .

و أنتَ تمارس دوْر الدبوس . .

سئمتُ تيبّسك . .

إصرارك بأن الرجولة والقسوة مترادفتان . .

اقتصارك على الغيرة وحدها في ترجمة الحب . .

إذعانك لموروثاتٍ قَبَليّة . .

تجُيز لك ما لا يُجيزه القرآن !

ثم تسألني ما إذا كنتُ أحبك . .

أحبك الآن . .

أحبك غداً . .

غير أنّ كلانا صار يعرف أن الحب وحده لا يكفي !

لا أخشى أن تتوقّف عن حبي ..

بقدر ما أخشى أن أتوقّف ( أنا ) عن حبك ..

ليس من السهل عليّ أبدًا أن أستمرّ في العطاء دونما حب !

كانت هنالك كلماتٌ جميلةٌ تنتظرك في فمي ..

أبتلعها الآن ..

ألـمْلِمُ اعتباري المتناثر ..

أعود إلى عزلتي الأنيقة ..

إلى هدوئي الفطري ..

إلى الأبخرة المتصاعدة من قهوتي ..

إلى كتبي المكوّمة عند وسادتي ..

المبعثرة بطريقةٍ لم يعد معها متّسعٌ لرأسي حين أنام ..

إلى سليقتي البسيطة ..

إلى صلاتي ..

إلى دعوةٍ كنتُ قد أرسلتُها في الظلام ..

أن يُبدلني خيرًا من كل الراحلين !

عرفتُ فيما بعد ..

أن الإخلاص الذي تتشدّق به في كل حين ..

هو أن تخون بحذر !

تنهمر في الإساءة ، و أمعن في الإنصات ..

يتّسع الثقب في قلبي ، و يتسرّب حبك ..

هو الآن يسيل كعصارةٍ حارقة ..

يُبلّل قميصي ..

و يقطر على أصابع قدمي !

كنتُ أعوّل عليك أن تحميني من أشياء كثيرة ..

و عجزتَ أن تحميني حتى من نفسك !

إنها عادتي ..

أن أسمع هشيماً ..

و لا أدري ما الذي فعلتُه غير أنّي مشيتُ براسٍ مرتفع ..

وليس ذنبي ..

ذنبك أنك هشٌ و زاحف !

وهي عادتي أيضاً ..

أن ألتزم الصمت ..

بينما يسقط تمثالك الشامخ في صدري !

في فمي شتيمةٌ لزجة ..

لها أقدامٌ كثيرة ..

أحبسها طويلاً حتى تستيقظ العجوز في رأسي ..

لتمضغها بعقلانية الكبار ..

و تبصقها على طريقة فيلسوفٍ مُحنّك !

لا أسوأ من أن تقول ما لا تفعل ..

ثم تفعل عكس ما تقول ..

ثم تتصرف وكأنك لم تفعل !

أحتاج أن أمارس بشريّتي ..

حقي في النقصان ..

حقي في النسيان ..

سئمتُ دور الملائكة ..

سئمتُ انتباهي الكامل ...

تيقّظي المستمر ..

حذري وتلفّتي ..

قشرة ورعي الرقيقة ..

غشاء حصانتي المتهتّك ..

تحفّظي على كل ذلك !

أيها المنزّه عن الخطأ ..

الكامل بالفطرة ..

المستثنى من كل عيب :

إنّ المغفرة لا تعني النسيان ..

إنما تعني أن تتصرّف معي كما لو أني لم أخطئ ..

إذا لم تكن قادراً على مثل هذا ..

فلا تُسمِّ الإذلال غفرانًا !

.

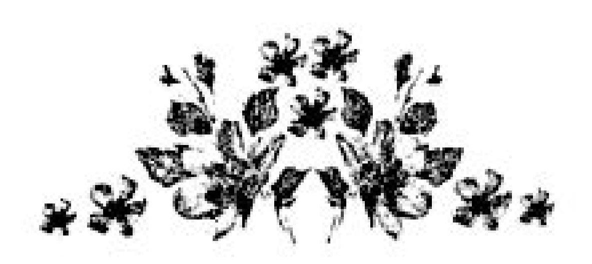
ما الذي لو كنتُ قد فعلتُه قبل عامٍ لتغيّر الآن حالي ؟

سأفعله الآن إذًا ليتغيّر حالي بعد عام !

فلسفةٌ ( نِسْوَنْولوجيةٌ ) ..

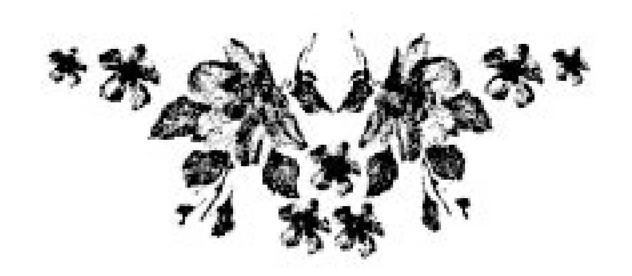
من حصيلة كبوات ضلعٍ أعوجٍ لا يُفكّر أن يستقيم !

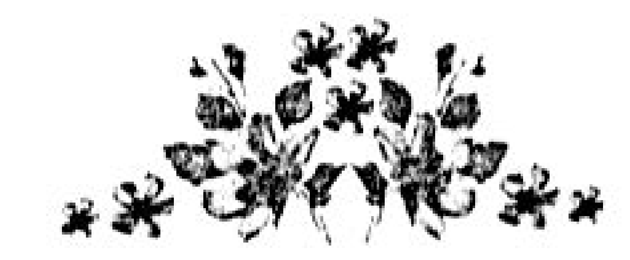
# مطرقةُ القاضي



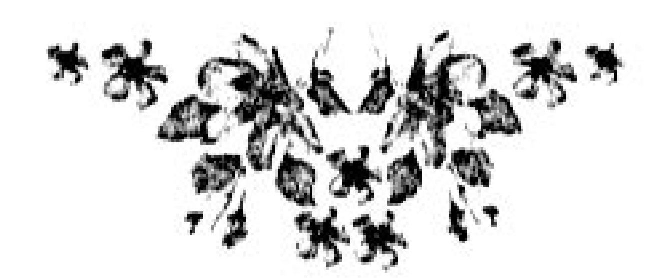
لا أحد يغيب فجأة ..

دائماً هنالك تدرّجٌ لم ننتبه له !





# وراءِ كل رجلٍ غائب .. امرأة !



يومٌ آخر ..

يضع الوقت فيه مسطرتَه ..

ليقيس المسافة بيني وبينك ..

ويسجّل رقمًا أكبر !

يومٌ آخر ..

أتقلّب بين تفاصيلك في أسطوانةٍ لا تكفّ عن التدحرج ..

أهُمّ بالكتابة إليك ..

ثمّ أقرص أذن ذاكرتي و أتراجع ..

لو أنّ هنالك عدّادًا ..

يُسجّل عدد المرات التي أحتاجك فيها ..

و أوشك أن أستعين بك ..

ثم أتراجع في اللحظة الأخيرة من ذلك ..

حتمًا سيكون الرقم كبيرًا جدًا لو تعلم !

يومٌ آخر ..

أتفحّصك بعين جواهريّ ..

يعرف الفرق جيداً ما بين الأصل والمزيّف !

شقيةٌ هي المرأة التي تفهمك ..

وتتظاهر بغير ذلك ..

لأنها ببساطة ..

تودّ أن تبقى معك !

يومٌ آخر ..

أحبك فيه و لا أخبرك ..

أقول ما لا أعنيه ..

و أعني ما لا تفهمه !

رسالة إلى الحائط :

صمتي يُبلّغك السلام !

رسالة أخرى إلى الحائط :

متى ما صار لك لسانٌ و شفتان ..

أخبرني لنتحدّث !

رسالة أخيرة إلى الحائط :

أنا جيّدة بما يكفي فيما يتعلّق بأساليب الغياب ..

إنّك تستفزّ صمتي الأبدي ..

تشي بي إلى الأيام ..

و تنسى أنّ الأيام لعبتي !

أحتاج إلى مطرقة القاضي ..

ليصمت كل شيء في الحال ..

ثمّة هسيسٌ داخلي ..

لا يمكنني سماعه حال الضجيج ..

صوتٌ خفيضٌ من أبعد نقطة في صدري ..

أو ربما رأسي ..

لا أدري !

يُـمْلِيني ما أكتبه كل مرة ..

هو الآن يخبرني أن الانتظار استنزافٌ بطريقة ما ..

و أن الأشياء التي تأتي متأخرةً ..

تفقدُ قيمتها !

إنّ نملةً واحدةً تحوم في الأرجاء . .

تُشير إلى سربٍ من النمل في الجوار !

ليس ألمًا . .

ليس حزنًا . .

ليست مكابرةً . .

ليست توبةً . .

ليست حتى تلبيةً لرغبتي . .

ليس كل ما تدّعيه . .

إنها امرأةٌ أخرى وحسب . .

حينما تكذب . .

حاول أن تكذب بإتقان . .

و تحترم ذكاء الآخرين !

لأن شمسك التي تغرب عن سمائي ..

حتماً هي تُشرق في سماءٍ أخرى ..

لم يعد يُرهبني كسوفك ..

و تلبّدت سمائي في حضورك بالغيوم !

وجودي في حياتك مرهونٌ بحاجتك إليّ ..

متى ما شعرتُ بعكس ذلك ..

تلاشيتُ كخيطٍ من الدخان تصاعد واختفى !

دائماً ..

هنالك أشخاصٌ كالجزء الظاهر من الصخرة فوق الماء ..

يأتون إلى حياتنا لننتقل من خلالهم إلى ضفةٍ أخرى ..

نتجاوزهم ولا ندري ..

ماذا كان يخبّئ نصفهم المغمور تحت الماء !

نحن الذين نقرر ما إذا كنّا صخرةً أو ضفّة ..

زورقًا أو شلالاً !

ضفدعًا يراقب ما يحدث عن بُعد ..

أو حتى سمكةً تعبر كل ذلك ولا يعنيها الأمر !

غير أننا جميعًا ..

سنواجه نهراً ما يفصلنا عن الحياة التي نريدها ..

ذات انزلاق ..

كان لا بُدّ أن أحدِث جلبةً لأقاوم الغرق ..

ما ذنب الصخرة لأشتمها ؟

خطئي أنّي لا أجيد العوم ..

لا تؤرّقنا الأشياء التي لم نحصل عليها ..

بقدر ما تؤرّقنا تلك التي كانت في حوزتنا ثم فقدناها ..

كما لا يُؤرّقني أن تبقى بعيداً الآن ..

بقدر ما يُؤرّقني أن تعود وقد خطف أحدهم قلبي !

الدمية التي كنتُ أريدها بكلّ عوز الطفولة ..

التي يكفي ثمنها لإطعام مئة مسكين ..

التي جرّبتُ الصلاة والدعاء من أجلها لأول مرة ..

ذات المفاصل المرنة ..

و الملمس الآدميّ ..

بفستانها القطنيّ المورّد ..

بأصابعها الطريّة ..

بشعرها البندقيّ ..

وعينيها الخضراوين ..

التي ينغلق جفناها إذا ما استلقت ..

و يرتفع صدرها وينخفض كما لو أنها تتنفَّس ..

التي تبكي إن جاعت ..

و تصمت إذا ما وضعتُ زجاجة الحليب في فمها ..

و تتبوّل في سروالها المنقّط ..

التي يمتلكها أبناء الأثرياء فقط ..

كبرتُ أتخيّلها في سقف حجرتي قبل أن أنام ..

و أبكي ليشتريها أبي بكاء الحي على الميّت في أولى لحظاته ..

لو جاءت تمشي على قدميها الآن ..

ما أعرتُها أيّ اهتمام ..

بل لربما دهستُها دون أن أنتبه إليها ..

التوقيت عَصَبُ الأحلام !

مثلك كنتُ في شوارع المدينة ..

أنتقل كالملدوغة من شارعٍ إلى شارع ..

أكرّر الاتصال بهاتفٍ مُغلق ..

ليس لأنّ أحداً قد يُجيب ..

إنّما هي نوبة ذعرٍ ..

تنتابني حين أواجه آلاف المرايا بوجهٍ ملأته الخدوش !

دعنا لا نُكرّر المحاولة ..

ونفعل شيئًا مختلفًا هذه المرة ..

كأن نصمت إلى الأبد !

قد يكون الغياب في أوّله بدافع الكبرياء ..

لكنّه ـ وكما كل الأشياء التي يمضغها التكرار ـ

يتحوّل مع الوقت إلى عادة !

عندما يقرر أن يتحوّل أحدهم إلى سراب ..

فإنّ من الحماقة أن نَتْبَعَه ..

إلحاحنا يزيده فرارًا !

ونحن نعرف جيداً أنّ للكون خدعةً فيزيائية ..

تُصوِّر الأشياء البعيدة على غير حقيقتها ..

ويكفي لذلك أن نقترب مرةً واحدةً لنكتشف زيفها !

إصراري الأخير في التشبّث بك ..

يشبه تشبّث المطعون بالحياة في الدقيقة التي تسبق الموت ..

يُحشرج قليلاً ..

ثم يعمّ الصمت !

أنتظر طويلاً بعد ذلك ..

ليس لأنني أعتقد بأنك ستعود ..

إنّما لأنّ للوقت سيفٌ يقتلك في صدري !

أتدلّى من طرف السرير برأسٍ مُنكّس ..

أتناول وجبةً تحت سطح مكتبي ..

أجلب قِطًا روميًا أسْوَدَ لحجرتي ..

أملأ تجويف ترقوتي بالماء و أتأمّل ثباته ..

أتحدّث إلى أشخاصٍ لطالما كنتُ أتجنّبهم ..

أكتب رسائل ورقيّةً و أدفنها في الأرض المجاورة ..

أجرّب قراءة الكتاب الثامن بعد سبعةٍ رديئة !

أفرد ذراعيّ عند أعلى نقطةٍ من دارنا على طريقة ( التايتنك ) ..

أرقص أمام المرآة على طريقة ( شاكيرا ) ..

و أتعثر بحقائبي المبعثرة و أحذيتي ..

أتمايل على طريقة أدخنة ..

أتمدّد على طريقة كائنٍ رخويّ لزج ..

أنتصب على طريقة شعرةٍ خائفة ..

أنحني على طريقة زهرةٍ ذابلة ..

ثمّ أنام أخيراً !

أفعل أيّ شيء ..

أي شيء من شأنه أن يدفعك إلى آخر الصفّ في طابور ذاكرتي ..

أيّ شيء يقتل رتابة الوقت ..

ويعجّل بنسيانك !

نسياني لك لا يعني أن أبذل مجهوداً لأتذكّر وجهك ..

لا يعني أنّي لو التقيتُك في صدفة الشارع ..

سأسألك من أنت !

نسياني لك يعني :

ألاّ يعود لك من الأهمية ما يجعلني أسهر حتى الخامسة ..

أو أبكي في نهار العيد حتى يتورّم جفناي ..

نسياني لك يعني أن أضحك ضحك المومسات ..

إذا ما تذكرتُ أني قد بكيتُ يومًا فراقك ..

نسياني لك يعني :

أن أتذكّر كل شيء دون أن أشعر بأيّ شيء !

عندما نغرق ..

تُصبح القشة عظيمةً جداً ..

نتمنّى حينها لو أنّنا طحالب ..

لو أنّنا علبة مشروبٍ طافية ..

لو أنّنا سمكةٌ عالقةٌ في رأس سنارة ..

لو أنّنا القشة ذاتها ..

لو أنّنا أيّ شيءٍ حقير ..

فقط لننجو !

سيبدو مُبرّراً بعد ذلك لو نستحيل إلى نبتة صبّارٍ ظامئة ..

نتحدّى اليباس ..

و نتجاهل المطر !

أيها القشة :

كنتُ أغرق حينما أعرتُكَ اهتماماً !

أنا لا أكره حزني في الأصل ..

أنا أكره حاجتي إليك عند الحزن !

أستعين على نسيانك بالقراءة ..

لستُ وحيدةً أبدًا ما دمتُ أقرأ ..

الكتب كائناتٌ ورقيّة ..

أرقى قليلاً من فصيلة الإنسان !

لا يجب أن أتذكّر حوارك الأخير ..

ذلك المدجّج بالجحود ..

أفعل شيئًا آخر ..

شيئًا خارج دائرة انتظارك ..

و أمارس الحياة كما لو كنتُ ورقة ..

سئمتُ الأدراج ..

و قرّرتْ أن تقف في وجه الريح !

انقطعت الكهرباء عن حبِّك المتوهّج في صدري ..

وساد صمتٌ مفاجئ ..

ذُعِرت الطفلة الـمُنهمكة في التحدّث بلسان عرائسها ..

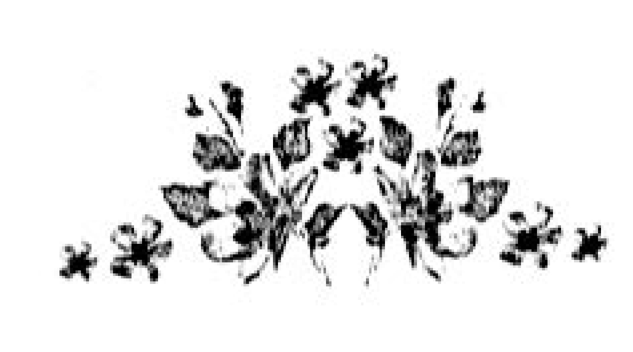
و بَكَت !

أحبك ..

لكني تعلّمتُ في غيابك ..

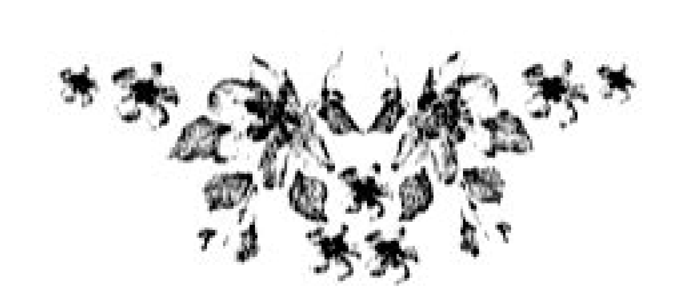
كيف لا أنتظر حتى الأشياء التي أحبها !

# مكالمةٌ فائتة



لن تُهدّد بالغياب شخصاً

وجد مُتعته في عزلةٍ وكتاب !



على افتراض أنّي وردة . .

ما زلتُ أقاوم الذبول !

و على افتراض أنك نكرة . .

لا يمنحك الغياب ( ال ) التعريف !

و على افتراض أني الماء . .

وهي التيمّم . .

أنت النواقض كلها !

وعلى افتراض أنّي سلعة . .

فإنّي أيها البائع . .

لا أُردّ ولا أُستبدَل !

و أمْسَت الجميلة بلا وحشٍ يراقصها ..

و شَرَعَتْ ليلى في الكتابة إلى الذئب الغائب !

أيها الذئب الغائب :

ثقافة الرف ..

التي تقتضي أن تغادر متى تشاء ..

و تعود متى تشاء ..

لتجد كل شيءٍ على حاله ..

لا تنطبق على أيّ شيءٍ ذي جناحين أو قدمين ..

يا حضرة العائد :

انا أُرتّب الفوضى التي أحْدَثها حضورك المتأخر ..

و انصرافك المبكّر ..

و عبثك ما بين هذا وذاك !

نقول وداعًا ..

عندما يقتصر خيرهم على البدايات ..

و يَضْمُر كل شعورٍ بمجرّد الامتلاك !

عندما يكون الفارق الزمني ..

بين رسائلنا و ردّهم عليها ..

كافيًا لقراءة كتاب !

عندما يتعادل في ميزانهم ..

حضورنا والغياب !

أحيانًا ..

كل ما يلزمنا لنكون بخير ..

أن نكتسب لياقة الانسحاب !

البقاء الطويل يستهلكنا ..

حتى لا نعود صالحين لأي احتمالٍ جيّدٍ بعده !

الذين يشترطون لوجودهم مقابلاً - أيًا كان ذلك المقابل -

شرّع لهم أبواب الخروج !

الذين يلوّحون بالوداع عند أيّ اختلاف ..

لوّح لهم بوداعٍ مماثل .. ٬

هدْرٌ للوقت أن تستجدي بقاءهم !

نحن نختار الطريقة التي يخطئون بها علينا ، دون أن نشعر بذلك ..

عندما تُصيبنا أخطاؤهم في مقتل ، ثم نعود إليهم ، سيكرّرونها ..

هكذا ببساطة !

ردّة فعلنا على خطئهم ..

ستُحدّد الطريقة التي يتعاملون بها معنا في المرة القادمة !

الحياة أقصر من أن تُصحّح نظرة أحدهم إليك ..

دعِ الأيام تفعل ذلك - إن شاءت -

و أنت ترتشف القهوة مع آخرين يُحبّونك !

ورودك التي تنام في الثلاجة منذ أشهر ..

كمحاولة لتأجيل موتها ..

و تقف جنباً إلى جنب مع الفاكهة و الأجبان و العصائر ..

في صورةٍ جماعيّة لأغذية الروح والجسد ..

كيف تُمنطِقها ؟

و هل تُفسّر ذلك ترفًا أم عوزًا ؟

قد لا يكون من الحصافة أن نقاوم فكرة الأشياء المؤقتة بفطرتها ..

و نُلزِم الحب أن يصمد في هزّةٍ عنيفةٍ كهذه ..

و نرفض الاستسلام لحتمية الرحيل ..

الذي بات واجبًا في حق الكرامة ..

و صار لزامًا أن نحترم البقيّة التي نجت من حرائقنا بأعجوبة ..

ونغادر ..

كفانا محاولاتٍ فاشلة !

نُهدِر عمراً لنؤجّل لحظة ..

لحظةً لن يغيّر من قُبحها التأجيل ..

تزداد وزناً ليس إلا ..

و يصعب عندئذٍ حَملُها !

نهايةٌ واحدةٌ تكفي لنتوقّف ..

أيّ استئناف بعدها هو استنزافٌ للوقت والمشاعر ..

نؤخّر به شفاءنا وحسب ..

فلننتهي الآن ..

الآن وليس بعد خمس دقائق !

ما أن تكون متاحاً حتى يكفّوا عن رؤيتك ..

الغياب يجعلك حاضراً في أذهانهم !

مضى وقتٌ طويل ..

على آخر مرةٍ غفوتُ فيها و أنا أتلهّف لقدوم النهار ..

كثيراً ما أغفو و زنزانةٌ في حنجرتي ..

تحبس مئة غصةٍ وسؤال !

أغفو وقروحٌ تتسامر في صدري ..

ترتشف الشاي ..

أغفو قبل أن أجد شيئًا ألتمس لك به عذر الإساءة ..

أغفو وتبقى خدوشك مُتيقّظةٌ حتى الصباح ..

يلاحقني نمرٌ في المنام ..

أطير ..

أفقد زوج حذائي ..

أحتضن طفلتي ..

تتكوّم السحب في سقف حجرتي ..

أسافر دون حقائب ..

أنادي ( الصلاة على الميِّت ) !

حتى إذا ما صحوتُ كنتُ منهكةً جداً . .

و مكالمةٌ فائتة . .

و رسالة اعتذارٍ شاحبةٌ جداً وقصيرة !

ما الذي تريد أن تخبرني به حين تلاحقني في المنام أيضاً ؟

ألم تغادر من تلقاء نفسك . .

بعد أن منحتُك كل الوقت لتُفرغ فمك من الحب والشتائم ؟

أنا أتألم الآن ..

لا لأني كئيبة ..

و لا أتلذّذ بالحزن ..

إنّما هو مخاض الذات ..

هل سمعتَ عن مخاض الذات ؟

أتألّم لأني ألِد امرأةً أخرى أقلّ سذاجةً مني ..

أكثر وعيًا لما ينبغي أن يكون ..

امرأةً أخرى لا تحبك ..

و لا تكرهك ..

و لا يُشكّل غيابك فارقًا يؤذيها !

حريٌ بك أن تضحك هنا ..

لأن لذاتي ساقين منفرجتين ..

وذاتٌ أخرى توشك أن تخرج !

أحرّر أزرّة قميصي ..

لتتخيّر موضعاً لرصاصتك الحائرة ..

و أبتسم إليك كأول مرة التقيتُكَ فيها ..

عندما كان بوسعي أن أغادرك و لم أفعل !

ضع رصاصتك هنا ..

إلى الأعلى قليلاً ..

نحو اليسار ..

حيث كنتُ أحملك ..

هنا ..

حيث كنتَ تعيثُ فساداً و أغفر لك ..

اصنع فوّهةً في صدري ..

يتساقط منها هذا الشعور الأحمق ..

أعدك أن تكون الحياة بعدها أجمل !

اليوم ، أنا المرأة التي تكتب قليلاً ..

و تفكر كثيراً ..

و تتردّد أكثر من كل ذلك ..

يهزمها البكاء كلما أرادت أن تتكلم ..

تعيش في حجرةٍ صغيرةٍ لا تتّسع لأحلامها ..

تجرّ قدمها العالقة تحت أنقاضك !

إنّها مرحلة انشقاق ..

نقطة تحوّلٍ كما يُسمّيها البعض ..

طيرٌ يفقد ريشه في محاولة انفلات !

جذورٌ تتوغّل في التراب ..

لتستطيل شجرة ..

غداً ، سينبت لي ريشٌ آخر ، و أعاود الطيران ..

غداً ساكون شجرةً ضخمة ..

أصلها ثابتٌ وفرعها في السماء !

لا يمكنني أن أكون العاقل الوحيد بين زمرة مجانين ..

لا يمكنني أن أحمل كل هذا الشعور المفرَط ..

بين كائنات هي أقرب للحائط منها إلى الإنسان !

لا يمكنني أن أقاوم كل هذا الأذى بالرسم أو الكتابة فقط ..

يستوجب الأمر مقاومةً أكبر ..

إعصارًا في وجه الريح ..

ثعبانًا يلقف ما يأفكون ..

عباءةً وسيارة أجرة ..

ضجيجًا يقضّ مضاجعهم ..

قيامةً لضمائرهم الميّتة ..

شيئًا من شأنه أن يقول ( كفى ) !

قرّرتْ الأسطوانة الإسفنجيّة . .

المتدلّية من السقف . .

أن تغادر . .

جرّب الآن أن تكلّم الحائط !

الكلمة التي كنتَ توشوشني بها . .

فيحمرّ وجهي . .

و تنتصب لها كل بُصيْلة . .

جرّب أن تهمس بها وحدك . .

وراقب بؤس الأشياء التي تعرج على ساقٍ واحدة !

أوَ ليس هذا ما كنتَ تصبو إليه من صراعك الدائم ؟

ولأني لا أبقى طويلاً على أيّ شيءٍ يمكن استبداله . .

تركتُك تجرّب التّيه . .

تنفرد بذرائعك وأوهامك . .

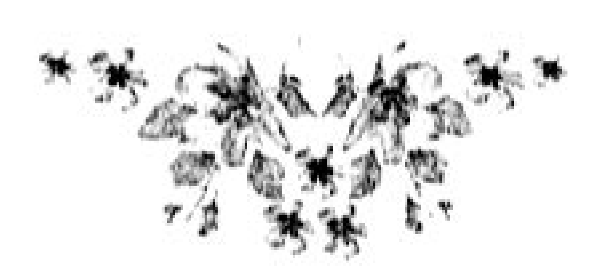
و تتعرّف إلى الأشياء التي لا يمكنك أن تستعيض عنها بأخرى !

# المرة المئة وواحد



الحياة بلا رجلٍ صعبة ..

لكنها ليست بالمستحيلة !



أحيانًا ..

لا يعود بوسعنا أن نفتح صفحةً جديدة ..

لأن دفتر تسامحنا السميك ..

قد نفد ببساطة !

وعندما لا يغفر لك قلبٌ طيّبٌ في أصله ..

فلا يعني ذلك اسوداده ..

إنّما يعني أنّ خطأك فاق عفوه ..

أوَليس العفو مقرونًا بالمقدرة ؟

قد أغفر لك مئة مرة ..

إلى حدّ أن تعتقد أنّي لن أفعل سوى الغفران ..

غير أنّي أنسحب فجأةً في المرة المئة وواحد ..

و دون استئذان !

( دائماً ) . .

أنا لا أغادر أولاً . .

أدَعُ للآخرين شرف المبادرة . .

غير أنّي أحرص ألاّ يجدني أحدهم فيما لو عاد !

و أحياناً . .

نحتاج أن نقول ( لا ) . .

فقط لنختبر قدرتنا على الاختيار !

نحن الطيبون جداً بدافع الفطرة ..

المتسامحون كثيراً بدافع الخوف ..

المتغافلون بدافع العيش ..

المتأمّلون بدافع التفاؤل ..

المغفّلون بدافع الثقة ..

المتردّدون بدافع الحذر ..

يحين علينا لحظةٌ حاسمة ..

لا نعود بعدها كما اعتادوا أن نكون ..

نصحو من سبات سذاجتنا الشتويّ بفزعٍ مفاجئ ..

لا مُبرّر له بالضرورة سوى التشبّع ..

كتلميذٍ متفوّقٍ تأخّر في نومه عن الامتحان ..

نسارع في الثأر لكرامتنا بشعرٍ منكوش ..

وقميصٍ مُجعّد !

عندما لا شيء يعود بمقدوره أن يواسيك . .

لا شيء يؤازرك . .

تنبش أدراج ذاكرتك كالملدوغ . .

تُفتّش عن شيءٍ يكذّب واقعك . .

يُخدّر ألمك . .

يهزّ كتفيك . .

يجرّك إلى زمنٍ لاحق . .

يتحوّل فيه حاضرك الـمُغتَصَب هذا . .

إلى ذكرى قديمة و مُشوَّشَة . .

فإنك حتماً لن تغفر !

لو أني أغبى قليلاً . .

لكنتُ الآن سعيدةً و أُحبك !

يُرهقني أني أفهمك أكثر مما تظن . .

أكثر مما تريد لي أن أفهم لتبقى مُسيّجًا بالغموض . .

أفهمك أكثر من أن أنساق خلفك . .

بعينين مُغمضتين وفمٍ فاغر !

لو أني أغبى قليلاً . .

لكُنّا ما زلنا معًا . .

يتطاير ريشنا . .

كديكين عالقين في صراعٍ يفرضه مجرّد الاقتراب . .

ما أن تعتذر بعده . .

حتى أتحوّل بكل سذاجة العالم إلى دجاجة !

الصراع مع الآخر . .

هو في الحقيقة صراعٌ مع الذات . .

و عقدة الشعور بالنقص أو التهديد . .

هي دافع كل عِداءٍ غير مُبرّر !

أيها الديك ( الهراتي ) :

شئنا أم أبينا . .

لقد افترقنا !

في الماضي القريب - القريب جداً -

قبل أن يمضي على وفاقنا الأخير يومان ..

في اللحظة التي تلت افتراقنا مباشرةً ..

عندما انكمشت وعودك ..

وتحوّرت إلى أشواكٍ سامّة ..

تنغرس بوحشيّةٍ أينما اتّفق !

عندما تمزّقت كل احتمالات الرجوع ..

وعَلِقَتْ أشلاؤها في أحذية المشاة ..

عندما تضخّمت الأصوات ..

وصارت أبواق السيارات عويلاً لا يُحتمل ..

عندما ضحكت الحياة بازدراءٍ ..

من كل حلمٍ لم ينبت في أرضك البور ..

بُعِثَتْ كل الأوجاع القديمة من مرقدها ..

وأقبلَتْ في نحيبٍ جماعيٍّ ..

كما هو شأنها في كل مرةٍ تصيح في أذنها خيبةٌ أخرى !

أظنك تعلم ..

أنّ أوجاعنا الجديدة لا تأتي فرادى ..

إنما تأتي زمراً زمراً ..

تجرّ معها كل وجعٍ كان قد سبقها ونام !

الكلمة التي يستغرق النطق بها ثانيةً واحدة ..

ثمَّ تتغيَّر من فورها صفة الأشياء و وُجهتُها ..

ويبقى أثرها طويلاً جداً ..

كحروقٍ من الدرجة الثالثة ..

ليس بوسعنا أن نعود بعدها كما كنّا ..

- حتى إنْ غفرنا -

هي الكلمة التي لا ينبغي لها أن تنزلق كغيرها من الكلمات ..

التي يمكن أن يُصحِّحها الاعتذار !

إنني - وكما لا يخفى عليك - متخمةٌ بالخيبات ..

غير أنّي لن أبتلع خيبةً أخرى على افتراض أني تعوّدتُ ذلك ..

لأنّ كأساً ممتلئةً عن آخرها ..

لن تتّسع لقطرة ماءٍ إضافيّة ..

و سينتهي بها المآل إلى أن تسيل خارج الكأس !

تظلّ الخيبة هيّنةً ما لم تتكرر ..

ما أن تتكرّر حتى تسقط أوراق ثقتي بك ..

إيذانًا بخريفٍ أزليّ ..

لا تورق لك معه شجرةٌ في صدري أبدًا !

لستُ يائسة ..

إنما أفكّر فقط ..

كيف أُقنِع حلمًا يئس من الحياة معك أن يعزف عن الموت ؟

وكيف أُفسّر له انحسارك عن شواطئي ..

في اللحظة التي كان يُفترض أن ترسو فيها بواخرنا ؟

وانتهينا من حيث بدأ الآخرون ..

وتصدّع البناء الذي كان يُفترض أن أسكن إليه ..

وانهار الركن الذي كان يُفترض به أن يكون آمنًا ..

وجرّدني الذي كان يُفترض به أن يكون لِبَاسي ..

واختلفت الأسماء وتعدّدت ..

والنهاية واحدة !

أيّها اللّباس :

لا بأس أن تكون مُهترئًا وعلى غير مقاسي ..

البأس كل البأس ..

أن تعرّيني وقد جاء وصفك في القرآن ( لِبَاسي ) !

عندما نستدير ونمضي ..

ولا نلتفت إلى الحريق الذي نشب بفعلنا ..

فإنه ليس من النجاة أن ننخرط في الزحام ..

نختفي بين الحشود ـ وكأنّ شيئًا لم يكن ـ

لأنّ أجساداً متفحّمة ستظلّ تلاحقنا ..

وتستقبلنا في كلّ اتجاه ..

وترقد إلى جوارنا أينما نضع رؤوسنا !

حتى في النهاية .. ثمّة أناقة ..

إذا تعذّر البقاء ..

و أشارت كل الأصابع نحو الخروج ..

وتعثّرت الأقدام قبل أن نصل إلى نُبل الغاية ..

فلنترك وراءنا ما يتحدّث عن أخلاقنا !

المشهد الأخير من الحكاية ..

هو أكثر ما يرسخ في الذاكرة !

و لأني سبقتُك بخيبتين ونصف ..

فإني أعرف من الوجع ما لا تعرفه أنت ..

و أسوأ الوجع ما كان في ظاهره ترميمٌ لوجعٍ سابق !

أدعُ لك وهم الانتصار المؤقّت ..

في معركةٍ كِلا الطرفين فيها منهزمًا لا محالة ..

فقط ..

لو أنك حين تستردّ هداياك ..

تأخذ معها وجعك وخدوشك وندباتك ..

وتُعيد إليّ عمرًا أنفقتُه في سلعةٍ مغشوشة !

أريد أن أركض فقط ..

أبصقك كمذاقٍ سيّء ..

أطردك كذرّات عرقٍ تنزّ من عنقي وجبيني ..

حقيقة أخلاقك . .

لا تظهر بعد القهوة في مكانٍ أنيقٍ و هادئٍ ومُكيَّف . .

حقيقة أخلاقك تظهر في قيظ الظهيرة . .

في الصيام . .

في الزحام . .

في نهايات القصص !

والكون لا يدور وِفقَ ما نراه بأعيننا المجرَّدة وحسب . .

الأسرار ، والنوايا ، وكل ما نجتهد لإخفائه . .

يضعه الكون في حسبانه وهو يدور !

إن كنتَ حقًا تودّ ألاّ تراني مرةً أخرى ..

كان حريًا بك ألاّ تظلمني ..

لأنك ستراني كثيراً بعدها في العتمة ..

في انعكاس الماء ..

في ظلّك ..

في نسائك ..

في صغارك ..

في الرعد والزغاريد ..

في بكاء المصلّين ..

في قهقهة المومسات ..

في الدُمى ..

في اللوحات ..

في الدعاء ..

في الأغنيات ..

بين انحسار دمعة وانهمارها ..

بين كبوةٍ ونهوض ..

بين خسارةٍ و أخرى ..

في السجون والحفلات ..

في المساجد والحانات ..

أينما يكون الظالم ..

ظِلُّ المظلوم يتبعه !

وبعدد المرات التي سامحتُك فيها بالأمس ..

أسامحك الآن أيضًا ..

لن ينفعني في شيءٍ أن أجدك يومًا مُكبّلاً بفجيعة ..

يكفيني هذا القدر من الأسى ..

و يكفيك بؤسًا أن تشعر بنقص كل امرأةٍ بعدي ..

ارْحَل فقط ..

و افْسَح الطريق للخير المؤجل !

لن يأسف العالم لنهايتنا ياسيدي ..

لن تتوقَف الأرض عن الدوران ..

لن يُضرب أحدٌ عن الطعام ..

لن تُعلّق الدراسة ..

لن تُلغى رحلات الطيران ..

ولن يتصدّر الصحف نبأ فراقنا ..

لا شيء في هذا العالم سيلتفت إلينا !

ستشرق الشمس في حينها ..

و تحلّق الطيور ..

و تنبش القطط أكياس النفاية ..

وتُقلع الطائرات ..

و تمخُر السفن ..

و يُقرع جرس الحصة الأولى ..

وتزدحم الشوارع ..

و يُطلِق حَكَم المباراة صافرته ..

و تصدح المآذن ( حي على الصلاة ) ..

و تنشر جارتنا ثيابها على الشرفة ..

و يصرخ أخي على صغاره ..

وتستمرّ الحياة !

وحدي سأتوقّف عند كل هذا ..

و أخاف الآخرين من بعدك ..

و أصارع كثيراً لأعود سيرتي الأولى !

كنتَ تُهيّؤني دائماً إلى لحظةٍ كهذه ..

لا أملك لك فيها شيئاً ..

و لا حتى دمعةً مزيّفةً أودّعك بها !

لستُ بآسفة ..

كنتَ ستغادرني على أيّ حال ..

فلتحملني معك جرحًا غائرًا في قلبك ..

أضمن به أن أكون ندبةً في حياتك على الأقل !

كنتُ قد فقدتُ حذائي في المنام ..

و أعلم منذ عامٍ بأننا قد نفترق ..

إلا أني أمهلتُك كثيرًا ..

لتفعل شيئًا يجعل من الحذاء أضغاث أحلامٍ ..

ولم تفعل !

بل رُحتَ تحتطب لتؤجّج النار التي اندلعت بيننا في الخصام !

لا يكفي أحيانًا أن نعلم ونتأهّب ..

وقوع الشيء أعظم من أيّ استعداد مُسبَق !


رسالة إلى المرأة التي كنتُها قبل عام :

طَاب مساؤكِ ..

أكتب إليك من الحجرة الصغيرة ، ذات الطلاء البنفسجيّ الذي سئمتُه جداً ، و الذي ما زلتُ أتردّد في تغييره ، لأني لا أدري كم من الوقت سأبقى هنا !

دائمًا ـ وكما تعلمين ـ هنالك حلمٌ قيد الصيانة ، هنالك زواجٌ قيد التفكير والاستخارة ، هنالك شيءٌ ينتظر ، يوشك أن يحدث ، و لا شيء سوى التأجيل !

لن تُصدّقي ! لقد انتهت قصة الـمُخبر الوسيم و النعجة المثقّفة ، قرّرتْ النعجة أن تركل مؤخّرة الـمُخبر ، لتغادر القطيع ، و تمارس القراءة في خلوة !

و لن تُصدّقي أيضًا ! غادر الرجل اليتيم ، الرجل الذي لم يكن يعاشر زوجته ، بينما أنجبتْ منه ثلاث بنات ، يُشبهنه إلى حد التطابق ! الذي كان يقضي ثُلث حياته في مَقهى ، الذي ملأ أدراجي بالهدايا ، و انتظر طويلاً عند منعطف الطريق .

أرسَلَ إليّ ذات حماقة رسالةً نصّية ، يطلبني فيها أن أتخلّص من كل هداياه ـ إكرامًا لما مضَى ـ لا أدري كيف نُكرِم الماضي بتخريبه ! ( كالتي نقَضَت غَزْلَهَا من بَعْد قوّة ) ، لكنّه حتمًا سئم دوْر المنديل والمحفظة . هنالك امرأةٌ أخرى تُعزّز غروره و تمنحه دوْر البطولة ، و هي بالتأكيد ليست زوجته ، كما لم تكن يومًا أنا !

كل نهاية تستأصل شيئًا منّا ، نخسر شيئًا من أنفسنا ، نتناقص تدريجيًا ، حتى لا نعود قادرين على البدء من جديد ، حتى يُصبِح من الصعب إرضاؤنا ، من الصعب إقناعنا ، غير أني مازلتُ قادرة على الانشطار إلى عِدّة نساء ، كل واحدةٍ منهنّ يلزَمه عمراً بأكمله لينساها !

بمناسبة النسيان - كدتُ أنسى ! - قدرٌ أنيق ، يشدّ ربطة عنقه ، ويُلمّع حذاءه ليطرق الباب ، أستأذنكِ لأتأنّق بدوري أنا أيضاً !

ندى - بعد مرور عامٍ على خيبته -

جدة

التاسع من مايو ٢٠١٥ م

الواحدة و عشر دقائق بعد الظهر

# مزبلةُ الحب



# لا أحب الآفلين



على افتراض أنّ لأمزجتنا رسمًا بيانياً ..

على محورين إحداثيّين :

( الوقت ) و ( الرضا )

فإنّ خطًا مُتعرّجًا يمتدّ نحو اليمين ..

و هو الآن في أشدّ حالاته انخفاضًا !

أصمت حتى تلتحم شفتاي ..

و يتلاشى فمي ..

عندما لا أثق في كل الأكتاف المتاحة !

أتحسّس شَعري كما لو أنّه لغيري ..

أتعرّف إلى وجهي في المرآة كأول مرة رأيته فيها ..

و أسأله بذاكرة خرفة : هل أعرفك ؟

أعرّفك بنفسي يا سعادة المجهول :

أنا الكرة المطّاطية ..

التي أردتَ لها أن ترتطم بالحائط و تعود إليك ..

غير أنها هشّمت زجاج النافذة و اختفت !

أنا طالبٌ مُنهَك ..

يبحث في مدرسة الحياة عن فسحةٍ أو انصراف !

أنا زهرةٌ نَبَتَتْ فوق الخراب ..

أنا صرير الباب في بيتٍ لا يسكنه أحد ..

أنا طائرةٌ ورقيّة ..

لم تُنصفها الرياح ..

و سقطت قبل بلوغ الهدف !

أنا مِدفأةٌ في مدينةٍ قائظة ..

أنا ( الوراء ) الذي لا أنصحك بالالتفات إليه ..

لأن فخاخًا كثيرة وكلاليب تنتظرك !

أن تمشي بمحاذاة الحائط ..

تُطأطئ رأسك إلى الرصيف ..

و شعورٌ بالذنب يَتْبَعك ..

ينعطف معك أينما تنعطف ..

تهرول و يهرول ..

تركض ويركض ..

يكاد يُمسك بمؤخرة قميصك ..

تُفلتُ منه لثوانٍ ثم يعود !

هل تعرف شيئاً يُدعى ( ضمير ) ؟

ذاك هو الضمير !

الذين يضحكون بصوتٍ مرتفع ..

ليسوا بالضرورة سعداء ..

يفعل التعيس ذلك أحيانًا ليتّقي شماتة الأعداء !

و الأسوأ من أن تكون حزينًا ..

ألا يكون بمقدورك أن تبوح بذلك لأحد ..

أن يُفتَقك الصمت ..

و لا شيء يَرْتِقُك سوى الأيام ..

أن تبتسم لتنفي أيّ تُهمةٍ تشير بها أصابع الحزن إليك ..

أن تقرأ لتظلّ عيناك نحو الأسفل دون أن يبدو ذلك انكسارًا ..

أن تنام مبكرًا ..

لتنسحب دون أن يبدو ذلك انعزالاً ..

أن تتأخّر على سجادة صلاتك ..

لتصمت طويلاً دون أن يبدو ذلك شرودًا ..

ترقّب وجعًا ما ..

سيأتيك على شاكلة فاتورةٍ مؤجّلة !

أن تستيقظ من نومك مذعوراً ..

بينما أنت تنادي أحدهم و تستنجد به ..

ثم تستدرك أنه ما من أحدٍ يسمعك سوى السقف والحائط ..

فإنك حتماً وحيد !

أن تكون صامتاً في يومك الأول من العام الجديد ..

باهتاً ، مُنقبضاً ، تتأمّل أحاديثهم دون تعليق ..

تختصر الإجابة على كل أسئلتهم بجوابٍ واحد : الحمدلله

فإنك حتماً وحيد !

لن يفرح الجميع بنجاحك ..

سيقفز البعض من أقرب نافذة ..

و يتصرّف آخرون وكأنّك لم تنجح ..

الرابح يبقى وحيداً – كما قال باولو –

كل المرايا تخبرني ..

أنّ من الإجحاف أن أكون بمفردي ..

أنت أيضاً كنتَ تخبرني بذلك !

أصِلُ إلى عملي ..

بقميصٍ لم اتمكّن من إغلاق أزراره الخلفية ..

صديقتي التي تساعدني في إغلاقها أيضاً تخبرني بذلك !

لا أنوي أن أبقى وحيدة ..

غير أنّي أرفض دورَ فئران التجارب ..

أن تختار ألمًا من أصل ألمين ..

أن تختار أهون الخسارتين ..

أن تبتر بعضك لتُنقذ بعضك الآخر ..

هل تعرف هذا النوع من الخيارات ؟

أنا منهكة ..

أنا مدهوكة ..

كشيءٍ منبعجٍ على الأرض ..

مُلتصقٌ بها !

أجرجرِ ذاكرتي القديمة و الجديدة ..

إلى مزبلةٍ ضخمة ..

مزبلة الحب ..

مزبلةٌ من ورق ..

أُلقي بكل ما أتذكّره في حاويةٍ أنيقة ..

و أعود إلى فراشي ..

أستيقظ صباح اليوم التالي وقد نسيتُ الأمر !

أستطيع أن أحملك معي إلى أيّ مكان ..

في قنّينة عطرك التي كلما فرِغَتْ جئتُ بأخرى مثلها ..

متفوّقةٌ جداً في تفريخ الألم واحتضانه ..

حتى يفقس وينمو في كنف ذاكرتي الودودة الولودة !

في منطقةٍ وعرةٍ جداً ..

بجفنين متورّمين و دعاء ..

أُنكّس علم الدولة التي أقمتُها لك في صدري ..

أرتدي ثوب الحداد ..

أحمل صغار أحلامي ..

و أسافر على أوّل طائرةٍ إلى النسيان !

بجراحٍ مُثخنة ..

تعرف الأيام كيف تضمّدها ..

بألسنةٍ من نار ..

يُرسل الله مطراً يُخرسها !

ليست هذه هي المرة الأولى التي أجدني فيها ..

مُنقوِسَةً داخل برميلٍ مُعْتم ..

يتدحرج نحو المجهول ..

غير أنها المرة الأولى التي لا أحاول فيها الخروج !

كنتُ أحاول أن أقسو ..

أن أصنع امرأةً جديدة ..

لا تبكي إذا ما جرّ أحدٌ حقائبه وتوارى في الزحام ..

لا تزور قبور أمواتها ..

لا تحلب ذاكرتها المحتقنة ..

ولا تُرضع حنينها الجائع ..

كنتُ أحاول ..

ويكفيني شرف المحاولة !

إغماءة حزنٍ طويلة ..

تستغيث وسائدي إثرها بأيّ أحدٍ في الجوار ..

أحدهم يجب أن يأتي حالاً ..

لا أستطيع أن أكون بمفردي الآن ..

ثمّة ما يتفصّد و يحترق في صدري ..

شيءٌ كالشواء ..

كشياط الأسياخ الملتهبة إذا لامسها الماء !

أودّ أن أنشطر إلى نصفين ..

نصفٌ يحتضن نصفًا ..

أحدهما يبكي ..

و الآخر يربت على كتفه و يُواسيه ..

تبكي الشتلة معهما ..

و الشمعة ، والمصباح ، و الباب ، والنافذة ..

وكل التفاصيل التي كانت تُطرق السمع إلينا قبل أن نفترق !

ينعى النصف نصفي ..

يُعزِّيه ..

يطمئنه ..

يمسِّد شعره ..

يحمله إلى فراشه ..

يشدُّ على كفّه ..

يتساقط عليه كالهتّان ..

يلامسه بلطفِ الضباب ..

يتحدّث إليه بصوت الريح و المطر ..

- لا بأس أن نبكي قليلاً ،أو حتى كثيراً ،لنبكي حتى تفرغ براميل الحزن كلها هذا المساء .

- كيف أصدّق من بعده أنّ أحدهم لن يدسّ يده في جيب عمري ، و يختلس بضع سنواتٍ أخرى ثم يرحل ؟

- أي خسارة لا تفقد معها ذاتك ، هي خسارةٌ هيّنة ،لن تقف الأيام أمامها مكتوفة اليدين ، أنسيتَ ماذا فعلت الأيام بأوجاعنا القديمة ؟

- لم أنسَ ،لكنني ظننتُ أني قد أخذتُ كامل حصتي منها ، وعدتُ لأصدّق وعوداً جديدة ،وعودٌ كقشرة البيض النيئة ، تهشّمت عندما أحكمتُ عليها قبضتي في لحظة انفلات ، وعودٌ رملية ، تلاشت مع أوّل موجةٍ تكسّرت على شاطئها .

- لا شيء يبقى ، أخبرتُك من قبل يا نصفي الموجوع ألاّ شيء يبقى ، و أن القادر على إيذائك مرةً ،لن يتوانى عن إيذائك ألف مرة ، هو المخطئ طالما أنها المرة الأولى التي يسيء فيها إليك ،لكنه خطؤك أنت عندما يكرر ذلك ، إذ لم تضع له حداً يقف عنده .

- قبل دقيقتين من الآن - دقيقتين فقط - كان هنالك خيطٌ رفيعٌ يربطنا وانقطع ، كانت هنالك حكايةٌ تقاوم السقوط ، معلّقة بأصبعها الأخير ،لكنها سقطت ، وكنتُ على بُعد أمتار من نهايتنا ، رأيتُه من حيث لم يراني ، رأيته لأول مرةٍ بعيون الغرباء ، يؤلمني الوداع أيّا كانت دوافعه .

- هنالك نقطة ، يصبح التراجع عندها ضرباً من المستحيل ، ولا تعود الأشياء بعدها أبداً كما كانت ، و لحظة الوداع الوحيدة الجميلة في هذا الوجود ؛ أن تودّع أحداً لطالما أفسد أوقاتك التي

كان يُفترض بها أن تكون سعيدة ، يبدو أنك نسيتَ ما فعله بك صبيحة العيد ، ونسيتَ ما فعله عند عقد القران .

- بل أتذكّر بشكلٍ يدعو إلى القلق ، ولستُ ممتعضًا من نهايتنا ، كنا سننتهي على أيِّ حال ، أنا فقط أردتُ نهايةً أكثر تحضّرًا ، نهايةً مختلفة ، تليق بعمر قصّتنا .

- الإهمال : أوّل مؤشرات النهاية ، يختلق موقفًا يجعلك تبدو مذنبًا ، ليمنطق انسحابه المسبوق بنوايا يدّعي بأنها حسنة ، ثم يتقيّأ قُبحه دفعةً واحدةً عندما يشعر بالخسارة ، ألم تفهم ذلك بعد ؟

- أفهم ، البؤس كل البؤس أن تكون ذكيًا وطيبًا في آن واحد ، ستفهم الحقيقة و تبتلعها ، كنتُ أحترم شعوري بعدم الارتياح وأُصغي إليه ، استمراري لم يكن يعني تسامحي ، و لا أفهم كيف لم يخطر لي من قبل أنّي أزداد تورطًا كلما أمهلتُه !

- أكثر الناس بؤسًا ؛ المكابرون ، و لا عيب في أن تكون طيبًا ، شريطة أن يكون ذلك مع من يستحق ، هنالك لحظة تُعيد فيها الأشياء تَموْضعها ، وتنتصب أفعاله في وجه الطريق ، سيتذكرك حينها و يتمنى أن يعود به الزمن ليعتذر ، و إلى ذلك الحين أو غيره ، لا يجب أن تتجاهل شعورك بعدم الارتياح أبدًا ، في كثير من الأحيان ، تقف الحقيقة إلى جانبك تمامًا ، على بُعد

سنتيميترات فقط ، بينما أنت مُنهمكٌ في البحث عنها بعيداً لدى الغرباء .

- أنا أشعر بادئ الأمر يا نصفي ، أشعر فقط ، ثم ألتفتُ إلى حيث وخزني قلبي ، فتتقشر الحقيقة كما لو أنها طلاء حائط رطب ، لكنني أعوّل على قادم الأيام أن تصنع فارقًا يجعل الأمرّ زائفًا أو حتى محتملاً .

- في الغالب ، الجزء الظاهر منهم هو أفضل ما لديهم ، لا تُعوّل كثيراً على الأجزاء المستترة .

- أفكّر في الوقت الذي سيستغرقه شفائي هذه المرة ، و كم سيبدو حزني مثيراً لشماتة الأعداء .

- لا تكترث لشأن أحد ، إذا لم يكن هنالك عدوٌ داخلك ، فلا يمكن لأيّ عدو في الخارج أن يؤذيك ، ثم متى ستدرك أنّ حزنك السافر لا يستحلب تعاطف الآخرين و لا حتى شماتتهم إنما تبلّدهم ؟ حتى تستحيل إلى بقعة على الأرض ، يرفع العابرون عنها طرف أثوابهم ويمضون ، اسأل المجاهرين بالحزن ماذا حققوا ؟

- لا تحدّثني عن الحزن السافر ، حزني منقّبٌ ، وكلانا يعرف الفرق بين البكاء والتباكي .

- أنا ألكز فولاذيتك النائمة ، قلّةٌ هم أولئك الذين ستجدهم إلى جانبك حين تتغيّر الظروف التي جمعتك بهم ، عندما لا تعود

لهم بك حاجة ، سيختفون ، وعندما تكون أحمق ، ستحدّق طويلاً في نوافذهم المضاءة ، أول خطوةٍ لنسيان أحدهم أن تكفّ عن مراقبته .

- هل أستطيع الاستغناء عن شيءٍ لطالما أمتعني كثيراً ؟

- نعم ، كل ما لم يُخلق معك ، تستطيع العيش دونه ، والاعتياد نتيجةٌ حتميّةٌ لأي تكرار ، صدقني ، نصف الحب تعلّق ، ونصفه الآخر اعتياد ، قد لا تملك أمر نسيانه ، غير أن بمقدورك أن تعتاد أموراً أخرى لا تجمعك به ، كما أنّ هنالك دائمًا ما يستحق الابتسامة ؛ وجهك في المرآة على سبيل المثال .

- و دائمًا هنالك ما يستحق العبوس ؛ وجوهنا في بطاقة الأحوال على سبيل المثال .

- إنك لم تفقد حِسّ الدعابة بعد ، وهي مرحلة متقدّمة من الشفاء أن تسخر من أوجاعك .

- لا تقلق ، أنا أنسى سريعًا كنيزكٍ . . مرّ في سماء الحزن واختفى !

ثم نصمت ..

و نتلاشى كأبخرة الماء في هواء الغرفة ..

وكأننا لم نلتقِ ..

و كأننا لم نُحِبَّ ..

و كأننا لم نفترق !

علّمني رحيلك كيف أحب نفسي ..

كيف أعود إليها كصديقٍ قديم ..

كان يجمع معها أغطية المشروبات ..

و يلعق قصدير ( الكتكات )

يطرق باب الجيران ويهرب ..

يتزحلق على زجاج السيارات ..

ينام حيثما يفاجئه النعاس ..

و يستيقظ في مكانٍ آخر ..

يرتدي ملابس إخوته القديمة ..

أحذيتهم الضيّقة ..

و يحلم أن يصير طبيباً !

علّمني رحيلك أن أنعطف يميناً في طريق عودتي من خذلانك ..

أشتري باقة زهورٍ بنفسجية ..

أقدّمها إلى المرأة العظيمة في صدري ..

تلك التي تحمل رأسها المنزوع تحت ذراعها كحقيبة ..

و تواصل سيرها وهي تغنّي !

أقدّمها تماماً كما كنتُ آمل أن تصلني منك ذات تفاؤلٍ ولم تفعل ..

و أعتذر لها نيابةً عن كل هذا العالم الذي استهان بها ..

و جعلها تركن طويلاً في أدراجه !

تعلّمتُ بفضل رحيلك كيف لا أنتظر ..

كيف أطفئ في صدري فتائل الترقّب و التلفّت وطول الأمل ..

كيف أهذّب وقاحة الحنين ..

و أرغِم أنف النسيان !

لسوء حظك ..

أنّي امرأةٌ لعزيمتها سبعة أرواح ..

كلما خذلها أحدهم ..

ازداد دافعها إلى النجاح ..

أنت لا ترى كم خليّةً تنقسم حين أتألّم ..

من كل خليّةٍ تَنْبتُ امرأةٌ جامحة ..

كلّهنّ ينهضن لصالحي ..

المضحِك و المحزن في آن واحدٍ ..

أنّ ما تركله هو قَدَرُك !

قَدَرُك الذي سيأتيك في زمنٍ لاحق ..

على هيئة امرأةٍ أخرى ..

لها وجهٌ مختلف ..

و شَعرٌ مختلف ..

وصوتٌ مختلف ..

وهويةٌ مختلفة ..

سيبدو لك أنك تعيش تجربةً جديدة ..

وأنّ الحياة قد رضِيَتْ عنك أخيراً ..

ونسِيَتْ قصتنا ..

ستطمئنّ إلى تشابه الأيام ..

إلى تحلّق صغارك على مائدة الطعام ..

إلى تدفّق المال في أرصدتك ..

لكنها ستمارس لعبتها الأثيرة ..

وتتشقلب بين عشيّةٍ وضحاها ..

ويسقط من جيبها قدَرُك !

هل أبدو حزينة ؟

لا ضير في ذلك ..

أعرف أني ذات رائحة نفّاثة ..

تُميّزها أنوف البؤس الجائع ..

دافئٌ وجعي ..

سمينٌ ..

لزجٌ و متاح !

دعِ الأشياء تأخذ وقتها ..

يوماً ما سأروي كل هذا كقصة لا تخصّني ..

ربما غداً ..

أو بعد عام ..

لن أقاوم انسلالك ..

المقاومة تزيد من عمر الألم !

كبرتُ ومثلك أتقنتُ لعبة الغياب ..

صار بمقدوري أن أصمت طويلاً ..

دون أن يهزمني الحنين ..

صار بمقدوري أن أغادر فراشي مبكراً ..

قبل أن تصالحني الحياة !

أرتدي ملابس جميلة في ذروة حزني ..

أتحدّث بطلاقةٍ في أيّ موضوع لا يخصّ انكساري ..

أقفز في بركةٍ من المهام الجديدة ..

يوماً ما ..

سأغفو مبكراً وكتابٌ مقلوبٌ على صدري ..

و أستيقظ و في رأسي أفكارٌ كثيرة ..

جميعها لا علاقة لها بك !

لم يكن الدور المناط بك سهلاً على الإطلاق ..

كان ينبغي أن تكون خارقًا ..

لا أن تكون رجلاً سويًا و حسب ..

تستعيد ثقة امرأةٍ صادرها وغدٌ قبلك ..

تحتوي حزنها ..

لا أن تُضيف إليه فصلاً جديداً !

شجرة الوجع التي كان يُفترض بك أن تجتثّها من جذورها ..

ـ كما أدلّتْ به نخوتك الأولى ـ

وجدتُك تُشذّب أطرافها و تسقيها !

كل شخصٍ نلتقيه في الحياة ..

يحمل إلينا رسالةً ما ..

ما أنْ يُبلّغها حتى يغادر ..

شئنا ذلك أم أبينا ..

و قد بدأتُ أعرف الحكمة من مرورك !

رسالة إلى المرأة التي سأكونها بعد عام :

صباحكِ كما تتمنين دائماً ..

تذكّرتُكِ هذا المساء ، حين لمحتُ في المرآة شعرةً بيضاء أخرى ، تُطلّ برأسٍ خَجول ثم تختفي ، فكّرتُ أنّه من الإجحاف أن يحدث هذا قبل أن أجدَ نفسي ، لكنني سرعان ما استدركتُ أنه ليس بالأمر المهم ، طالما أنّي أستطيع تلوينها !

لا أدري كيف تقضين وقتكِ الآن ، و برفقة مَن تمارسين جنونك ، و مَن ذا الذي يتسكّع في دمك ، و يمنح تفرّدكِ الضوء الأخضر ؟

أتمنى فقط أنك لا تزالين نحيلة ، أن يكون في حوزتكِ ما يفيض عن حاجتك ، و ألاّ تكوني حبيسة الحجرة البنفسجية الصغيرة إياها ، أو أن تُغيّري طلاءها بلون آخر على الأقل ! أن تكوني قد ارتديت المعطف الشتويّ ، المعلّقَ منذ شرائه قبل سنوات ، أو أن تُصدِري جوازَ سفرٍ في أبسط حالات الأمل !

أنا بخير ، بخير جداً ، ما زلتُ أُفضّل أفلام الدراما ، و أشعر بالذنب إن تناولتُ معها الفشار ! أحيك لأحلامي قمصاناً ورديّة ، لكنّها ترفض أن ترتديها . المكان هنا لم يعد يتّسع لها ، تتأفّف كثيراً ، وتسهر طويلاً خارج البيت !

أقضي الليل بمفردي ، أراقب أفكاري وأخافها ، يزعجني صراعها ، أصرخ بها ، تهدأ قليلاً ، ثم تعاود عراكها !

حاولي أن تكتبي لي ، يُرهقني التخمين ، ويموت معظمي في أروقة الانتظار !

ندى - قبل مرور عام على بذرة أخرى -

جدة

١٣ مايو ٢٠١٥ م

عشرون دقيقة بعد منتصف الليل

# قطعة ( البازل ) المفقودة



هل كنتُ سأختبر قدرتي على النسيان لو أنك لم تغادر ؟



علمتُ بأنّي بدأتُ أنساك ..

حينما توقّفتُ عن مراقبتك دون قصد !

حينما ضحكتُ لأوّل مرةٍ منذ عرفتُكَ حتى دَمَعَتْ عيناي ..

حينما قبّلتُ رؤوس الصغار في طريقي ..

و ركلتُ الكرة نحوهم ..

حينما قرأتُ كتابين في أسبوعٍ واحد ..

حينما انتبهتُ إلى رسائلك الصباحيّة في المساء ..

حينما لم أعد أشعر بالغيرة من أحاديثك عن النساء ..

حينما لم يعد رجل المرور يشبهك ..

و لا سائق الأجرة يشبهك ..

و لا موظّف الصندوق يشبهك ..

و لا الرجل على لوحة الإعلانات يشبهك !

علمتُ بأني بدأتُ أنساك ..

حينما صارت تروقني الأغنيات الراقصة ..

و الألوان الزاهية ..

حينما لم أعد أتذكّر حوارنا الأخير ..

وما إذا كان ذلك قد حدث بالأمس أو قبل أمسين !

حينما لم أعد أتحيّز لقبيلتك ..

و لم يعد يستوقفني اسمك !

حينما أطلتُ السجود مرةً دون أن أدعو لك أو عليك ..

حينما صرتُ أنام و أستيقظ دون أن أتفقّد هاتفي ..

أذهب إلى أيّ مكانٍ و أعود دون أن ألتفت حولي ..

حينما رأيتُك مرةً تسقط من عيني ..

و لم ألتقطك !

لم أقصد نسيانك صدّقني ..

حدث ذلك في غمرة انشغالي ..

بالبحث عن سببٍ يجعلني أغفر لك !

تحقّقت نبوءتي ..

و رأيتُك أخيراً كما رأيتُك أول مرة ..

عندما لم أكن قد أحببْتُك بعد ..

مجرّد نحيلٍ بذقنٍ غير مرتّب ..

بصوتٍ يشبه نصف سكان العالم ..

بلا أيّ علامةٍ فارقة ..

يتحدّث كثيراً عن نفسه كبطلٍ لا يُهزم ..

و ينسى أنه قد أخبرني بذلك في الأمس !

لا تعوّل على الحنين كثيراً ..

أنا أنسى كل ما هو بعيدٌ عن عيني ..

و لولا المرايا لنسيتُ حتى نفسي !

نسيتُك إلى الحد الذي لم تعد تذكّرني بك هداياك !

عامٌ آخر ..

تنغلق ستائره قبل أن أُغلِق فمي ..

قبل أن تنتهي مسرحيتي ..

قبل أن يُصفّق الجمهور و انحني !

عامٌ يُشبه أعوامًا أخرى قديمة ..

تعثّرتُ بك ..

نهضتُ ..

نفضتُ فستاني ..

و تبِعتُ خيط الضوء المتسلّل من ثقوب الحكاية !

أنا الآن لا أُشبه المرأة التي تعرفها ..

تلك التي كانت تدع الباب مواربًا حين كنتَ تهجرها ..

و تمدّ ساقيها على قَدْرِ لحافك القصير ..

و تتقوّس لتمرّر وعودك المتدحرجة من تحتها !

أنا الجسَم الخشبيَ ..

الذي بقي واقفاً بمفرده في لعبة البولينق ..

و أفسَدَ عليك نشوة الانتصار المكرّر !

أنا قطعة البازل المفقودة في لوحتك الأخيرة ..

تلك التي يسهل تخمينها ..

و يستعصي استبدالها بأخرى !

أغمرُ قلبي المتجمَد في ماءٍ دافئ ..

أكتب أهدافًا جديدة ..

أهدافًا كثيرة ..

كلها ليست أنت !

و أتأنق على عجلٍ ..

فقصَةٌ أخرى جميلة ..

تنتظر عند مفترق الطريق !

تتضح الصورة شيئًا فشيئًا ..

و يومًا بعد آخر ..

أزداد يقينًا بأنّ الأمر الذي بكيتُ لأجله بحرقةٍ في الأمس ..

كان لصالحي ..

و حريًا بي لو عاد الزمن إلى الوراء ..

أن أستبدل بكائي ذاك برقصةٍ غجرية !

دائمًا هنالك رسائل تنويه ..

يُرسلها إلينا القَدر ..

لا شيء يحدث في هذا الكون دون سابق إنذار ..

عندما نراجع شريط قصّتنا المُسجّل ..

سنجد أن رسالةً من القَدر غير مقروءة ..

أو أنها مقروءةٌ بغير اهتمام !

و أنا أعرف الرسائل التي تجاهلتُها معك ..

أيًا كانت نواياك التي تُبرّر بها فعلتك ..

النيّة وحدها لا تكفي إن لم يتّبعها فعلٌ يؤكّدها !

وقد اتخذتُ قراراً صائباً ..

ـ و إن كان متأخراً ـ

حينما جمعتُ نشارة وقتي ..

و غادرتُك احتراماً لنفسي !

تذكرتُك قبل خمس دقائق . .

لأول مرة بعد نسيانٍ طويل . .

و نظرتُ إليك من شقّ الفضول . .

أتلمّس قلبي الذي ما عاد يحبك . .

لأكتشف بأني لا أكرهك . .

إنما أشفق عليك !

أحببتُك آنذاك . .

لا لأنك جديرٌ بالحب . .

كنتُ سأحبّ أيّ شخصٍ ألتقيه في ذلك التوقيت بالذات . .

و الأرجح أنّي أحببتُ حالة الحب نفسها لا أنت !

معك أو مع سواك !

ما كان ينبغي أن تراهن على بقائك في ذاكرتي ..

كان من الأحرى أن تراهن على بقائك في حياتي ..

مهما تكن رائعًا أو حتى سيئًا ..

أستطيع نسيانك ..

أنا امرأةٌ لها ذاكرةٌ انتقائية ..

تتذكّر ما تشاء ..

وقتما تشاء ..

أشرّح أمسي على طريقة الضفادع ..

من أجل الفهم والتحليل ..

لا من أجل الحنين ..

ثمّ لا أكترث إلى أيّ مزبلةٍ ذهب الضفدع !



رسالة أخرى إلى المرأة التي سأكونها بعد عام :

هل تصلكِ رسائلي ؟

يراودني الشك في صحّة عنوانك ، غير أنه العنوان الوحيد الذي أعرفه ، و أعرف أيضًا أن الكثير من الرسائل ، قد تنام في درج تجاهلك أو نسيانك !

بربّك لا تختبري ذكائي ، تعرفين و أعرف مثلكِ ، أنّي لستُ ذكيةً بالقدر الذي يُجنّبني الوقوع في مأزق آخر ! و يسهل خداعي فيما ليس لي به سابق تجربة . إني أتبع حَدسي و حسب ، و أصغي لما تحاول أن تُخبرني به الثياب البيضاء في المنام !

سؤالٌ إلى جواري يلكزني : هل تزيد الصدمة من مُعدّل ذكائنا ؟ ربما ! ما أنا أكيدةٌ منه أنّي أقلّ غباءً من ذي قبل ، أقلّ غباءً من معاودة الاتصال على هاتفٍ لم يردّ ، أو اللهاث خلف قدمين تتعمّدان الهرب !

- ما شأن الهاتف الذي لم يردّ والقدمين الهاربتين في الأمر ؟

- لا أدري ! - تملأ الأسئلة أوجاعنا بالهواء فتطفو على السطح . .

حسنًا ، على افتراض أنك الآن سعيدة ، سعيدةٌ بما لا يحتمل التعليق على رسائلي ، و أنّ ما يُقلقني الآن ليس صمتك ، إنّما نضجي المتأخّر عن أوانه ، و أنّ المزيد من الوعي في قادم الأيام سينقذني ، المزيد من اللامبالاة ستُصلح الأمر !

تتناقص رغبتي في التحدّث مع الآخرين إلى حدّ التحيّة فقط ، إلى أين سيأخذني هذا الصمت المتنامي ؟ و إن كان الحب ثرثاراً كما يقولون ، فهل أفهم من ذلك أنّي لم أعد صالحةً للحب ؟

ثم أخبريني ، ماذا تقرئين ؟ هل تكتبين بشكلٍ أفضل ؟ هل ما زلتِ تفقدين حذاءكِ في المنام ؟ هل تنامين في حجرةٍ مستقلّة ؟ هل انتهى مشروع القطار ؟

ثم إني أحبكِ . .

حيثما تكونين . .

كيفما تكونين . .

أحبكِ !

ندى - قبل العثور على عنوان جيّد لكتابي القادم -

جدة

٢٠ مايو ٢٠١٥ م

ثلاثون دقيقة قبل منتصف الليل

# كابحُ الخجل



مثلث المتعة :

قهوةٌ ، وخلوةٌ ، و كتاب !



لسببٍ أو لآخر . .

نصل إلى درجةٍ من الوعي . .

تتراجع معها الكثير من الأشياء إلى مرتبة ( تفاهة )

في حين يُفسّرها الآخرون نوعًا من الجحود !

وعلى افتراض أنّي لستُ عقلي كما يقول ( إكهارت )

و أنّ عقلي كائنٌ مستقلٌ بذاته . .

لا يكفّ عن التفكير بما فات وما هو قادم . .

و أنّ دوري أن أجرّه إلى الحاضر . .

و أُجبره على الجلوس في مقعدٍ أمامي . .

لنعيش الآن . . والآن فقط . .

قررتُ أن نصبح أصدقاء . .

- أنا وعقلي -

الأمر قد يتجاوز الصداقة إلى الحب . .

من يدري ؟

في الحقيقة أنا أحبه . .

لأنه كثيراً ما دهس الأشياء التي تزعجني . .

على طريقة الحذاء والصرصور !

وتدَخّل في لحظاتٍ حرجة . .

و أنقذني من مأزق الشعور . .

لا أدري ما إذا كان يعرف ذلك أو لا . .

لكنه أخبرني أكثر من مرةٍ بأنه لا يفكّر في مغادرتي . .

حتى حينما أخبرتُه أنّ بوسعه أن يهجرني متى شاء . .

امتعض ولكزني . .

ثم عاد لينبطح إلى جواري . .

يسند ذقنه إلى كفّيه . .

يؤرجح قدميه في الهواء . .

يسألني عنك . .

يقترح كتاباً نقرأه قبل أن ينتهي الأسبوع . .

ويُفكّر في طريقةٍ لحجب رسائلك المزعجة !

ثلاثة عشر رنينًا من الهاتف ..

رسائل طويلة محتقنة بالغيظ ..

مضمّخةٌ بالحنين واليأس والاستجداء ..

أهُمّ بالردّ عليك ..

ويمنعني كابح الخجل من قلبي الذي أقسمتُ له ألاّ نعود !

إنّها المرحلة الأصعب على الإطلاق ..

أن أمضي في قراري ..

دون أن ألتفت إلى دويّ ارتطامك بالخسارة ..

دعني أجرّب صوتي في الضحك والغناء ..

دعني أجرّب الحياة دونك !

نسيتُ صوت ضحكتي ..

من المخجل أن تكون حزينًا على الدوام !

عندما لا تجد ما تملأ به فراغ الوقت ..

سيملأ بك الآخرون فراغهم !

لذا أتعمّد هذا الحشد من التفاصيل الصغيرة في يومي ..

و أختار لذهني طواعيةً ..

أن يبقى منشغلاً بأشياء كثيرة تأخذني بعيداً عنك ..

ليس من السهل خداع العقل ..

لكنه من الممكن !

الانتظار يضاعف الشعور بالوقت ..

حاول ألاّ تنتظر ..

حتى تلك الأشياء التي تريدها أن تأتي ..

دعها تأتي و أنتَ في غمرة انشغالك !

أفسّر ما يحدث بطريقةٍ تهدّئ من روْع قلبي . .

هذا القلب الذي لا يلبث أن ينهض . .

حتى يهوي في هُوّةٍ سحيقة . .

تزداد عمقًا في كل مرة !

و أعتذر له عن كل شعورٍ تورّط به . .

عندما أقحمته معي في عشمٍ جديد . .

و أتصالح مع بشريّتي التي تقتضي النقصان . .

أتنحّى عن دوْر المغلوب على أمره . .

أجرّب أن أحسم و أختار . .

و أرى الحياة بعيون طفلةٍ . .

يُبهجها الرقص والألوان . .

تُبهجها الفساتين القصيرة . .

طفلةٌ تُقاتل من أجل دميتها . .

و تنسى دميتها من أجل حلوى !

من قال أنّنا نموت من الوحدة ؟

في الوحدة نعود إلى ذواتنا الـمُهمَلة ..

نرى الآخرين بوضوحٍ أكبر !

أنت لم تكن مرآةً تعكس حُسن شيءٍ أو حتى قُبحه ..

كنتَ غلالةً ضبابية على الوجوه والأسماء والطرقات ..

رفعتُ بعدك سقف ذائقتي ..

حتى ما عاد شيءٌ يعجبني ..

كنتُ متواضعة جداً حين أحببتُك !

الحياة هي اللحظة . .

هي في بساطة الأشياء . .

في الوقت الذي يمضي دونما نشعر . .

في طوابير الانتظار . .

في صعود السلّم و نزوله . .

في الطريق إلى أي مكان . .

في الوقوف عند إشارة ضوئية . .

في النوم . .

في شرود الذهن . .

في إغماضة العين وانتباهتها . .

في ارتفاع الصدر وانخفاضه . .

في كتابة هذا النص . .

في قراءتك لهذا النص . .

في كل ما يحدث الآن !

في كل يومٍ أبحث عن سببٍ يجعلني أستيقظ ..

سببٍ يدفعني لأنهض من الفراش ..

سببٍ لا يُشبه سبب الأمس ..

ألقي تحيّة الصباح على كل شيءٍ ما يزال بخير ..

- عقلي على سبيل المثال -

و أشعر بالامتنان إلى كل لحظةٍ سيئةٍ صنَعَتْ حاضري !

حتمًا لم تكن تتوقّع أن أتصالح مع وحدتي ..

إلى هذا الحد المتناهي في الانسجام ..

لم تكن تتوقع أن أجعل من ركامك هضبةً أقف عليها ..

لأرى الوجود من نقطةٍ أعلى !

الذين غادروا مبكراً جداً دون حتى أن أودّعهم ..

و الذين تأخّروا في الرحيل إلى أن طردتُهم ..

جميعهم ساهموا في صنع امرأة ٍيافعة ٍبحكمة عجوز !

لا أقارن نفسي بأيّ شخص ٍآخر ..

و لا أهتمّ لأنْ أكون أفضل من غيري ..

أقارن نفسي بنفسي قبل عام ..

و أهتمّ لأكون أفضل من نفسي بعد عام !

ستشعر بأنك لاجئٌ أو دخيلٌ أحيانًا ..

و أنك ضائعٌ أو حتى حبيس ..

غير أنها تظلّ مسؤوليتك وحدك في أن تكون سعيداً !

في حياةٍ أخرى غير هذه ..

كنتُ سأكون امرأةً عاديّة ..

تخافك كثيراً ..

وتستميتُ من أجل أن تأذن لها بزيارةٍ قصيرةٍ لأمها !

تجفّ وحدها ..

تتشقّق عطشًا إلى الحب ..

يعوي ذئبٌ في عتمة صدرها ..

و يطير خفّاش كان غافيًا على ضلعها ..

فتسألك في رسالةٍ نصّية : ( تحبّني ؟ )

و لا يصلها أيّ رد !

كنتُ سأكون امرأةً بدينة ..

لا تتجاوز بطولاتها عتبة المطبخ ..

تُحقق انتصارًا كلما تجشأتَ بصوتٍ مرتفع !

كنتُ سأتردّد كثيراً قبل أن ألكزك ليتوقّف شخيرك ..

و أتعرّق كثيراً لأنك لا تفضّل التكييف !

أرى وحوشاً في منامي ..

أرى ملائكةً ..

أرى ما أرى ..

يتفصّد جبيني عرقاً ..

أئنّ ..

أنتفض ..

أستيقظ ..

أنفث عن يساري ..

و لا يزال شخيرك يقرع طبول الظلام ..

كنتُ سأكون مناضلةً ..

تغسل أكوام الأطباق في وقتٍ وجيز ..

و تجفّف يديها في قميصها القطنيّ الفضفاض ..

تــَرَح كلما رأت قُبلةً على التلفاز ..

تبكي ..

تمسح أنفها بطرف كمِّها المبلَّل بماء الغسيل ..

و توفِّر المناديل !

كنتُ سأكون أنثى ..

فقط في تصنيف التعداد السكاني ..

و دابةً في تصنيف العَوام ..

و عورةً في تصنيفك !

كنتُ سأكون ساهمةً في فستانٍ جميل ..

على دمية ٍبلا رأسٍ يعزلها الزجاج ..

كوجبةٍ دسمةٍ في مُخيِّلة جائعٍ فقير !

في حياةٍ أخرى غير هذه ..

لم أكن لأكتب شيئًا سوى مقادير طبخة ..

و قائمةً بالخبز و الخضار والفاكهة والمنظِّفات المنتهية !

في حياةٍ أخرى غير هذه ..

لن تصلني باقة ورد ..

و لا رسائل إيداع ..

لن أحظى بتذكرة سفرٍ و إقامةٍ فندقية مدفوعة ..

و سائقٍ ينتظر رحلة وصولي ..

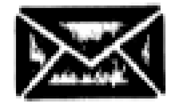
يحمل حقائبي ..

يسبقني ليفتح باب السيارة الخلفيّ ..

ثم ينعطف إلى حيث أشاء !

في حياةٍ أخرى غير هذه ..

كنتُ سأكون في انتظارك الآن !



رسالة من المرأة التي كنتُها قبل عام :

## مساء الذاكرة الخصبة :

أكتب إليكِ من الأرجوحة قبل أن تقلبها الريح وتنكسر ، من الهاتف الذي يبدو صغيراً جداً إلى جوار هاتفك الآن ، بتصوّرٍ لا يتجاوز خمس بلاطاتٍ من هنا ، عن قادم الأيام التي أجهلها !

من الجيّد أن يكون حاضركِ أفضل من أيّ وقتٍ مضى ، لكنه يظلّ واحداً من ألف احتمال كان يمكن أن يكون ، و ألف احتمالٍ آخر ليس بمقدوركِ أن تتنبّئي به ، كما لم أتنبأ أنا بحاضركِ هذا !

هل عليّ أن أذكّركِ في كل مرةٍ ، أنّ وهج الأشياء في أولها خادعٌ ومؤقت ؟ و أنّه متى ما انقبض صدركِ ، فإنه لزامًا أن تتوقفي ، دون أن تمنطقي الأمر بالضرورة ؟

المُخبِر الوسيم كان فجوةً أصغر من أن تعبرها أحلامك الكبيرة ، كان انسداداً في الأنبوب الذي يُفترض به أن يكون مُغذّيًا ، ثمّ إنّه لم يكن وسيمًا أصلاً ، كل ما في الأمر أنّ دميمًا قبله ، منحَ الآخرين من بعده شرف الوسامة بالمقارنة ، هل تعرفين الوسامة بالمقارنة ؟ وسامة الاختلاف المفاجئ !

تماماً كما يحدث للعين حين يفاجئها ضوءٌ ساطعٌ في عتمة ، تضيق حدقتُها تدريجياً لتتمكّن من الإبصار ، ثمّ يعود كل شيء بعد ذلك واضحاً وعادياً ، عادياً جداً ! أما الرجل اليتيم ، فإنه مُنتَجٌ ذو صلاحية ، انتهى بفعل الزمن ، لا أكثر !

سيحبك كثيرون ، ويكرهك كثيرون ، في الآن ذاته ، للسبب ذاته ! في المرة القادمة ، عندما تريدين الخروج إلى الحياة في نزهة ، برفقة رجلٍ لم تُثبت الأيام شيئاً من رجولته بعد ، ضعي قلبكِ قبل أن تخرجي في إحدى خزائن حجرتك الكثيرة ، و تمني له وقتاً ممتعاً حتى تعودي ، لا أريد أن ينفطر قلبكِ كما في الخامس من رمضان ، حين تقوّض كل شيءٍ دفعةً واحدة !

أعرف أنك قويةٌ بما يكفي ، لتُحوّلي أيّاً كان إلى مسحوق في وجه الريح ، و أعرف أنّ مثولك أمام القاضي لمرتين ، في قضيّتين متشابهتين ليس بالأمر الهينّ ، لكنّ هذا ليس مُبرّراً أبداً لأنْ تبقي وحيدة !

أنا أضحك الآن ، لأني تذكرتُ وجهكِ ، حين صرخ القاضي النحيل ، الطويل ، الأشيب ، وأفزعكِ ، تعرفين الآن بأنه لم يكن قاضياً أصلاً .. صحيح ؟

كنتِ تخبّئين أصابعك بطرف كمّك ، و تحاذرين أن تضعي قدمًا على قدم ، و ترتدين حذاءً منخفضًا على غير عادتك . بربّك ، في أيّة شياطين كنتِ تفكّرين ؟ و ما ضير أن تكوني طويلةً في المحكمة ؟

لا تفعلي ذلك مرةً أخرى ، رجائي أن تكوني أنتِ هي أنتِ أينما تكونين . .

أحبكِ !

ندى - عندما لم أكن أعرف بأننا سنفترق -

جدة

٢٥ مايو ٢٠١٤ م

ساعة قبل منتصف الليل

# شعرةٌ بيضاء قبل أوانها



أليس من الجيد أن أرسم ريثما تُرتّب الأيام فوضاك

و تُنسّق المكان لفرحٍ قادم ؟





مضى وقتٌ طويل

على آخر مرةٍ أدهشني فيها رجل !



قد يبدو لك أنّي لا أفعل شيئًا . .

حين اجلس بمفردي ساهمةً في الفراغ . .

غير أنّي في الحقيقة . .

أفعل ما يفعله العمّال في المناجم . .

أفتّت كثيراً من العشم المتفحّم . .

و أجْرفه في عرباتٍ خارج صدري . .

يتحوّل فيما بعدُ إلى شيءٍ ذي فائدة . .

قصيدةٍ على سبيل المثال !

هل قلتُ ( قصيدة ) ؟

لا تأخذ ما أقوله على مَحمَل الجَدّ دائمًا . .

تعرف أنّي أكذب أحيانًا !

كأن تسألني ما إذا كنتُ لا أزال أحبك . .

فأقول كاذبةً : لا !

إنّي امرأةٌ لا تحبُّ الشِعر . .

تستطيعُ غوايتها برسالةٍ مُنمّقةٍ وبليغة . .

تخبرني فيها عن سيارتك البالية . .

و شريط أغنياتك المعطوب ذاك . .

و شعركَ المتساقط . .

ومحفظة نقودك الخاوية . .

أكثر مّما قد تغويها كتفان عريضان . .

و شاربٌ محفوفٌ بعناية . .

آه . . عدتُ لأكذب مرةً أخرى !

حسنًا ، كل ما في الأمر أني غاضبة . .

لأنك لم تكن كما يليق بي أن تكون . .

و لأنّي أعرف كم يبدو وجهي مُضحِكًا حين أغضب . .

فإنّي في عزلتي الآن . .

ريثما تعود إلى الأشياء تفاهتها الأولى . .

و أستعيد قدرتي على التهميش !

الذين لا يتفهّمون حاجتي إلى العزلة ..

و يصعب عليهم أن يُخمّنوا ما أفعله بمفردي ..

ينتهي بهم الأمر في الغالب إلى محاربتي ..

أو حتى هَجري !

هذه ليست دعوى لأنْ تُحْسِن بي الظن ..

لديّ نزعةٌ شيطانيةٌ أحيانًا !

قد تنجح محاولاتي في النسيان ..

و أكتفي بذاتي في كثيرٍ من الأحيان ..

لكنني أحتاج برغم ذلك ..

إلى أحدٍ يلاحظ شحوبي وتضاؤلي ..

أحدٍ ينتبه إلى اختفاء الشعرة البيضاء من رأسي ..

ينتبه إلى العلاقة ما بين حذائي وطلاء أظافري ..

يسألني عن الوقت الذي قضيتُه بمفردي ..

أحدٍ لا يحتفظ بأسراري كقُنبلةٍ موقوتة . .

لا يُهملني حين يعتادني . .

و لا أخاف إن بدوتُ سيّئةً أن أخسره !

أحدٍ يفهم غبائي . .

يحترم تفاهتي . .

يبرّر حماقتي . .

يشتاق لبذاءتي . .

و يُحسن مع كل هفواتي بي الظنّ !

يؤلمني أن أكبر في أمكنةٍ لا تنغلق فيها أفواه النساء . .

و أعجز أن أختار لأذني فيها ما تسمعه !

غادَرَتْ قطّتي - التي لم أسمِّها -

بعد شهرين من إقامتها معي . .

في الحقيقة هي لم تغادر . .

أنا من سرّحها بإحسان !

لأنها كانت كثيرة المواء . .

مواءٌ يشبه الضجر . .

يشبه التأفّف . .

يشبه النداء . .

أغلب الظنّ أنها كانت وحيدة . .

وتريد قِطًا بالتحديد . .

وليس امرأة تلاحقها بأجهزة التصوير !

لا أدري ما إذا كانت قد عثَرَتْ على قِطٍ يُؤنِسها . .

أم أنها ما تزال تموء . .

تذكّرتُها هذا المساء تحديداً لأني أوشكتُ أن أموء !

لولا أنّي تذكرتُ أن المواء قد لا يجلب قِطّاً بالضرورة . .

بعض المواء يوقِظ الكلاب النائمة !

أيها القط الغائب :

يحدث أن تتشابه الوجوه . .

إلى حدّ أن يسهل التنبّؤ بالوجه القادم . .

كيف أقترب منك دون أن أبدو مُبتذلَة ؟

كيف أختلق حُجةً تجعل من التقائنا صدفةً محضة ؟

كيف أمنحك دوْر البطولة دون أن يظهر ظلّي على المسرح ؟

سأدعُ العالم يتحدّث ..

يعضّ أصابعه من الغيظ ..

يضعني في أيّ تصنيفٍ كان ..

- لن يُضيرني أن يشتمني الآخرون في سرّهم -

و سأقرّر وحدي ..

أين أريد أن أضع رأسي حين أكون بمفردي ..

بينما تهتزّ نوابض أسرّتهم - غير المزيّتة - في الجوار ..

و يتوالى أزيزها حتى ساعةٍ متأخّرة !

لا أريد أن أكبر في مكانٍ أراقب فيه ساعتي ..

و أتحرّى انقضاء الوقت بضجر ..

لا أريد أن تنبت لي شعرةٌ بيضاء قبل أوانها !

هل عليّ أن أخبرك كم مضى من الوقت في انتظار فرصةٍ ..

يُصنّفها الآخرون مثاليّةً أكثر ممّا أعتقده أنا ؟

كنتُ أعرف على الدوام ..

بأنّ الأمنيات المؤجّلة ..

قد لا تظلّ أمنيةً في زمنٍ لاحق ..

و ما نعتقده الآن مناسباً ..

قد لا يكون كذلك بالضرورة في ظروفٍ أخرى !

لكنّني أعتقد في المقابل ..

أنّ أمنيةً واحدةً ـ حتى الآن ـ

لم تنجح تجارب الزمن ( الفأروانية ) عليها ..

و لم يُفسد التكرار لذّتها ..

( أمنيتي بلقائك ) !

على اعتبار أن كل ما يحدث الآن . .

سيتحوّل إلى ماضٍ بعد دقيقة من حدوثه . .

أردتُ أن أصنع و إياك واقعًا مختلفًا . .

يتحوّل تدريجيًا إلى تاريخٍ أفخر به بعد بضعة أعوام !

- إن كانت هنالك بضعة أعوامٍ أصلاً -

الحياة قصيرةٌ بما لا يكفي أن تتوقّف لتشدّ أربطة حذائك . .

- أعرف ذلك -

لكنها ليست بالسوء الذي يتصوّره الكثيرون !

و لا يخفى عليك أني كنتُ أحد هؤلاء ( الكثيرون )

إلى أن قرّرتُ ذات كبوةٍ أن أكون أنا كما هي أنا . .

لا كما هي بنت الجيران !

نحتاج في كثير من الأحيان ..

أن نستبق الزمن ..

وننظر إلى ما يحدث الآن بعينيّ عجوزٍ ، بالكاد يمضغ طعامه ..

بالكاد يقف مُنحنياً ، ترتعش ساقاه ..

أظننا سنفعل الكثير قبل ذلك !

أما أنا ..

فلم أعد أفكّر في أني سأشيخ وأفعل الكثير قبل ذلك ..

أفكّر الآن في أنّي قد أغادر الحياة مبكراً ..

و من المؤسف أن أفوّت مُتعتها القصيرة دون رفقتك !

عندما لا يكون أمامنا متّسعٌ من الوقت ..

فإننا نختار أكثر الأشياء أهمّية ..

– أنت على سبيل المثال والحصر –

على غرار ما يحدث دائماً ..

أعرف بأنّ هنالك هُوّةً في طريقي إليك ..

قبل الديمومة الشرعيّة بخطوة أو خطوتين ..

أقترب منها بساقين ألِفتَا السقوط !

وعلى خلاف ما يحدث دائماً ..

أريد ردمها أولاً أو الطيران !

أريد نقطةً أبعد من هذه ..

سئمتُ السقوط هنا !

أتوق إلى شيء آخر في الحياة غير أن أكبر حتى أشيخ ..

شيءٍ آخر غير أن أبدو جميلةً و حسب !

غير أن أعيش حياةً بأكملها ..

لأمتلك في نهاية المطاف منزلاً ..

تُطلّ نوافذه على مكيّفات الجيران !

غير أن أجمع المال ثم أخشى نفاده ..

غير أن أقف طويلاً حتى تصل سيارة أجرةٍ مهترئة ..

و سائقٌ يفوح عرَقًا ونتانة ..

لأنخرط في زحامٍ يتلوه زحام !

غير أن أتخيّل قبل النوم أناسًا أحبهم و لا أراهم ..

و أستيقظ كل صباحٍ لأرى آخرين لا أحبّهم ..

غير أن أعيش لمجرّد أني لم أمُتْ بعد !

أتوق إليك ..

إلى عُشبٍ أخضر ..

نتمدّد عليه تحت سماءٍ غائمة ..

إلى شارعٍ طويلٍ مُبلّلٍ بالمطر ..

ومظلّةٍ واحدة !

إلى شتاءٍ أبيض يُبرّر عناقنا الدائم ..

وصيفٍ يُبرّر عُريَنا المُفتعل !

إلى إغفاءةٍ على صدرك ..

وانتباهةٍ على صوت المزيد من المطر !

أتوق إلى كل شيءٍ اعتدتُ أن أفعله بمفردي أن تفعله معي ..

أن تأخذني إلى ما بعد الهوّة ..

إلى ما بعد الشرعية ..

إلى أبعد من أيّ سوءٍ مُحتمَل ..

لأخبرك حينها بأن ذلك لم يحدث إلا معك !

حيرة !

كيف يبدو الأخضر في ضوء النهار ؟

وكيف يبدو إذا ما أطفأتُ المصابيح كلّها ذات ليلٍ و أبقيتُ واحداً ؟

كيف ستبدو الزهور الكبيرة في المساحات الصغيرة ؟

كيف أجعل من وسائدي القديمة إضافةً جميلة ؟

و أيّ الملاءات يربط بين كل ذلك ؟

كيف أرتّب كتبي الكثيرة بطريقةٍ لا يختفي معها الحائط ؟

وكيف يظهر الحائط دون أن أستبعد شيئاً أحبّه ؟

لمن الأولويّة إذا ما توفّرت كل الألوان ؟

و مالذي سأفعله إذا ما نفد اللون الذي أردتُه ؟

بالمناسبة ..

لقد اخترتُك بذات الطريقة التي أختار بها ورق الحائط !

في سقيفة صمتي . .

صندوقٌ يحتضن كثيراً من الحب المؤجل . .

كل ما فيه ينتظر اللحظة التي أكون فيها إلى جوارك . .

على متن طائرة . .

أسألك بدهشةٍ مُفتعلة : ( هل حقًا فعلتُها ؟ )

فتهمس بمكرٍ : ( تمّ استدراجكِ بنجاح )

ثم ألكزك و نضحك . .

و لأني الآن لستُ على متن طائرة . .

و لم أفعلها بعد . .

إنّما على متن حقيبة . .

أعيش بمفردي في حجرتي الصغيرة جداً . .

و المكتظّة بتفاصيل كثيرة !

أرجئ الحب إلى حينٍ آخر . .

و أمسح الأتربة عن ظهر قلبي . .

و أُطفئ المصباح لترقد أحلامي بسلام !

ردّاً على رسالة المرأة التي كتبتُها قبل عام :

إنه رمضان ، حيث نزعتُك كلباس قديم ، و تركتُك مُجعّدةً على الأرض ، و مضيتُ عاريةً إلى حياةٍ أخرى دونك ، ثم سمعتُك تضحكين ، تضحكين لأنها المرة الأولى التي تعرّيتُ فيها أمامك ، وضحكتُ أنا أيضًا ، لأن صوتك يشبه محرك السيارة المعطّلة عند محاولة تشغيلها ، و أدركتُ بأنّه من الجميل أن نبقى أصدقاء ، وودّعتُكِ على أن نعاود الاتصال لاحقًا ، ثم اتصلتُ بكِ بعد خمس دقائق من ذلك !

كنتُ على وشك أن أرتكب حماقةً أخرى ، و أثرثر إلى إحداهنّ ، غير أنّي استدركتُ الأمر وفضّلتُ الكتابة إليكِ . لا زلتُ دون صديقة ، و أنتِ وحدكِ من يعرف السبب ! صداقةُ الأنثى للأنثى مزيّفة ، تسقط عند أول مرآةٍ مشتركة ! و النساء تجمعهنّ الخيبة ، ويفرّقهنّ النجاح !

أضحك الآن أيضًا ، لأني انتبهتُ إلى السبب الذي بكيتُ لأجله قبل قليل ، بكيتُ لأنّ خزانة ملابسي الجديدة ، تأخّرتْ عن موعدها في الوصول ، ضحكتُ لأنّي أردتُها بشدة ،كما لو أنّها أحدٌ . أنا التي ما عدتُ أبكي أحدًا ، و ما عدتُ أنتظر أحدًا ، هل أبكي من أجل خزانة ؟

لا أدري كيف يُفسّر العلم هذا التصخّر تجاه الأشخاص ، و الرهافة تجاه الأشياء ، لكنها بلا شك ، حالةٌ مَرَضيّة ! حتى أني بكيتُ بحرقة حين ماتت إحدى سمكتيّ ، بينما لم أذرف دمعةً واحدة في أيّ مرةٍ بلغني فيها أنّ أحداً قد مات !

في نهاية المطاف سأنسى كل هذا - أو أتناساه - و أنام كيفما اتّفق ، بين كومة ثيابي التي تكفي لأربع نساء نحيلات ، و كومة كتبي التي تكفي لأن تكون متجراً ، و كومة أحذيتي ، كومة جواربي ، كومة شياطيني ، و أوراقي ، ووسائدي ، و تفاصيلي التي لا تنتهي . .

أستيقظ بعد ذلك لأستعيد ذاكرتي . أين أنا ؟ أين هاتفي ؟ أين محفظة نقودي ؟ هل صلّيتُ الفجر ؟ هل نمتُ أحبه ؟ ما هو اليوم أصلاً ؟ لماذا لم أذهب إلى وظيفتي ؟ هل أنا متزوجة ؟ أين صغيري إذاً ؟ منذ متى و أنا هنا ؟ ولماذا ما زلتُ هنا ؟ ومتى نزعتُ ثيابي ؟ أظلّ في فراشي ، حتى تعود إليّ ذاكرتي ، ثم أستأنف يومي . .

ندى - عندما لم تعد حجرتي بنفسجية -

جدة

الثاني من يوليو ٢٠١٥ م

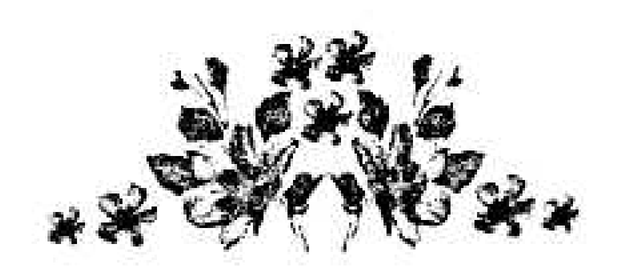
ما بين الفجر و الشروق



# شوال

# ذو القعدة

# ذو الحجة

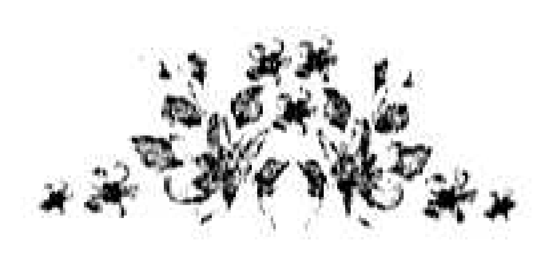


كل غفوةٍ هي ( نقطة )

وكل استيقاظٍ هو ( سطرٌ جديد )

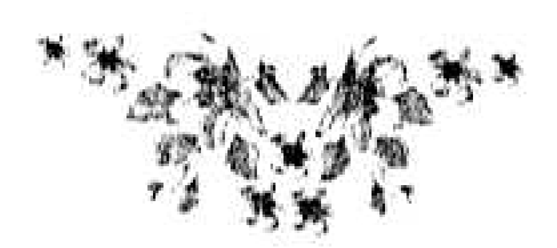


# فيما لو !



التَقَيتُ بكلّ السيئين

حان دور الأسوياء !



بين ما تقوله لأنك تعرف أنّي أودُّ سماعه ..

و بين ما هو حقيقيٌ ومُشفّر ..

أنا حائرة !

بين انفراجة شفتيك حينما تكون ساهيًا ..

و بين انفراجتهما حينما تبحث عن كلمةٍ ملائمة ..

تواصل بها حديثك ..

وبين عينيك الشرهتين ..

المتجولّتين بوقاحةٍ في تفاصيلي ..

أنا عالقة !

بين ما يفشل دائمًا ..

وبين ما أحاول أن ينجح هذه المرة ..

أنا خائفة !

سؤالٌ لحوح ..

يحوم في رأسي كذبابةٍ قلقة ..

أحاول صفعها ..

ثم ينتهي الأمر بانفلاتها :

ماهو أسوأ ما يمكن أن يحدث فيما لو قلتُ لا ؟

وما هو أكثر ما أخشاه فيما لو قلتُ نعم ؟

ومع كل هذا الحشد من المتناقضات ..

أنا سعيدة !

ممدّدةٌ على ظهري بذراعين مفتوحتين ..

أحتضن المطر ..

كنتُ قد أوشكتُ أن أستسلم لفكرة اختلالي ..

وجدليّة أفكاري المعطوبة - كما يُصنّفها المتفائلون -

لولا أنك وصلتَ في الدقيقة الأخيرة من ذلك ..

وتراجع كل شيءٍ بهزيمةٍ وانسحب ..

واسترخى قريني على مقعدٍ هزّاز ..

و أشعل سيجارةً و ابتسم لي !

يا رجل السلام ..

يا طامس التصحيح الأبيض ..

في ذاكرتي خطأً مكرر ..

ساعدني لأكتب شيئاً صحيحاً قبل أن يهترئ الورق !

إنها العاشرة صباحاً ـ بتوقيت الرياض ـ

مدينته التي أزورها كثيراً ولا أجده . .

أفتّش عنه كدبّوسٍ سقط منّي بين العشب . .

ثمّ أتذكّر بأنه قراره و أتوقّف !

و أعود لأفتّش في الخزائن . .

ليـس عنه هذه المرة . .

إنّما عن مشروبٍ يُدعى ( قهوة )

و أفكّر في أشياء كثيرة . .

أفكّر في أنّ ( صباح الخير ) تحيّةٌ مستهلكة . .

و أحاول أن أبتكر تحيةً تخصّك . .

أو بالأحرى . . تميّزني عندك !

تحيّةٌ أقولها لنصفك المغمور في الماء . .

لشغفي في الاكتشاف . .

لتواطئك . .

لذهولي بعد ذلك . .

لتصالحي مع الأشياء ..

لتفوّقك في الاحتواء ..

أفكّر في رسائلي التي ما تزال رماديةً حتى الآن ..

ولم تصل إلى هاتفك ..

والفارق الزمني بين استلامها والردّ عليها !

أفكّر في شتمك ..

أفكّر في استبدال هاتفي بآخر ..

لا تنفد بطاريته قبل أن أنتهي من شتمك ..

أفكّر في منقوع شرائح الليمون الذي تأخرتُ في تناوله ..

وعدد القرارات المشابهة التي تستوجب عزيمةً يوميّة ..

وجدّيةً كافية ..

أستحضر تفاصيلك ..

أحتضنها كوسائدَ ناعمةٍ و طرية ..

أفكّر في ابتكارٍ يجعل للوسائد ذراعين وقدمين ..

و نبضًا و صوتًا و رائحةً و قميصًا غير مزرّر !

أفكّر في المسافة القصيرة التي تفصلنا ..

و أنك لربما تكون على بُعد شارعين من هنا ..

أو إشارةٍ ضوئيّةٍ واحدة ..

أو حتى بضعة أمتار ..

أفكّر في تفاهة الأشياء التي كتبتُها ..

و أنّي سأفعل شيئاً مغايراً هذه المرة ولن أمحوها !

ما بين ثقتي وحذري . .

اتأرجح . .

أثبّتُ مشابك الغسيل على حلمي . .

و أغنّي !

لا أختبئ في صدرك من ذعري وحده الذي أحدثه آخرون قبلك . .

أختبئ حتى من ذعر الأخريات المنكسرات في هذا العالم . .

و من ذعر اللاتي سينكسرن لاحقًا . .

و من أيّ ذعرٍ مُحتمل !

كشيءٍ ثمين و قابل للكسر ..

خذني بحذرٍ وخبّئني ..

خذني إلى شرفةٍ غائمة ..

إلى أرجوحةٍ فوق الماء ..

إلى أيّ ركنٍ يجتمع فيه عطرك والقهوة ..

خذني إليك رغم أنف تردّدي ..

مزّق قمصان خوفي ..

مرّغ على صدرك كبريائي الملعون ..

و قيّد معْصَمَيّ تلكّؤي إلى قوائم إصرارك ..

بعض الأشياء لذّتها في أخذها ( عُنوة ) !

تعرف جيداً أني أحقّ الآن بالبهجة من أيّ زمنٍ مضى . .

تعرف أنه قد آن الأوان لنقول ( كفى )

و نختبر قدرتنا على النسـيان . .

و نمنح الحب التفاتة أخيرةً ليلحق بنا !

بقدر ما تألّمنا . .

تأتي أفراحنا مسبوقة الدفع . .

عظيمة ومكتنزة بالمفاجآت !

دعني أحملك في قلبي طفلاً ذا شوارب . .

و تحملني طفلةً تمصّ إبهامها !

أفواهٌ كثيرةٌ تنفتح وتنغلق في الآن ذاته ..

تتداخل الأصوات كغناء مدرسةٍ ابتدائية ..

أنفَصِلُ عن كل هذا تلقائياً ..

و ينخفض صوت الضجيج كلما تذكرتُك !

عطرك يا سيدي يعانقني ..

منذ متى كانت للعطور صدورٌ و أذرعة ؟

وجهك ..

أفتح به الستائر عن نوافذ قلبي المعتم ..

أستقبل النور ..

نورك الذي يلحظه الآخرون على وجهي ..

و أحتفظ به كوصفة عشبيّة !

تغزو مُخيلتي كمُحارِب ..

تَلِجُ من كل النوافذ ..

تخيُلاتٌ من النوع اللزج ..

بصوتِ فقاقيعَ صغيرة ..

تنزلق كلما حاولتُ الإمساك بها !

تتدفّق من كل صوبٍ ..

تغمُرني كموجةٍ أعلى من كل أسطحي ..

ثم تنسحب برفقٍ تاركًا كل شيءٍ مُبَلّلاً ..

و سؤالٌ يضحك بدهشة :

كيف هي الجنّة إذًا ؟

فوضويّةٌ بطبعي ..

لكنّ الحب رتّبني ..

جعلني دائمًا على أهبة اللقاء !

صدّقني . .

- أو لا تصدّقني -

متى ما وَجَدَتْ المرأة من يدفعها إلى المغامرة . .

فإنها لا تتردّد في ذلك . .

حتى لو كلّفها الأمر أن تقفز من النافذة !

ولكن هل أحببتُك هذه المرة حقًا ؟

أم أحببتُ حالة الحب مرةً أخرى ؟

ساعدني لأكتشف الفرق !

لستُ متأكدةً من شيء . .

احتمالاتٌ شبقة . . تتناكح دون هوادة . .

يتصاعد لهاثها . .

يتداخل أنينها . .

وتتمخّض عنها احتمالاتٌ أخرى . .

فاجرةٌ هي الاحتمالات . .

لا يهمدها الوقت إنما يُؤجّجها !

القليل الذي يُبقيك على قيد الحيرة . .

لا يكفيك لتتقدّم . .

ولا يعفيك من حرج التراجع !

أنصاف الرؤى . .

و أنصاف الشعور . .

أنصاف الدوافع والغايات . .

نصفٌ من كل شيء لا يُفضي إلى شيء . .

و لا يُجزي عن نصفه المفقود . .

فردة حذاءٍ واحدةً لا تصلح للمشي !

ويدٌ واحدةٌ لا تُصفّق ـ كما أسلف العالم ـ

بمناسبة اليد . .

هل تعرف من أين تؤكل كتفي ؟

أنا مثلك لا أعرف !

ربّما أنه ليس لديّ كتفٌ أصلاً . .

أو ربما أنّ أحداً قد نهشها ومصّ النخاع من عظامها !

أستطيع أن أقول أنّي امرأةٌ بلا كتفٍ ـ مع غير الأسف ـ

و امرأةٌ بلا كتفٍ ليس بمقدورك أن تستدرجها !

البعوض يُفسد عزلتي ..

و يُؤكّد لي أن أشياء صغيرة ..

من شأنها أن تُفسد أشياءً كبيرةً أحيانًا !

وعلى غرار ما تفعله الأشياء الصغيرة في الأشياء الكبيرة ؛

أنت تهمس في أذني بكلمةٍ واحدةٍ صغيرة ..

تغيّر من شكل قراراتي القديمة ..

وتجمع وساوسي ومبادئي وهرطقتي في قرطاسٍ و تُلقي بها !

لي معك أكثر من بداية ..

كل بدايةٍ منها على حِدة ..

كفيلةٌ بأن تخلق قصةً أسطوريةً ما بين اثنين يهرمان معًا !

المشكلة الآن ليست في البعوض يا عزيزي ..

وليست في القرطاس ..

وليست في البداية والأسطورة ..

المشكلة في الرغيف !

كلما زاد عدد الأشخاص الذين يتقاسمون الرغيف ذاته ..

قلّت حصة الواحد منهم !

و أنا أيها الرغيف الساخن ..

نَهِمةٌ جداً عندما يتعلّق الأمر بالحب ..

ولا أعرف بَعدُ كيف يمكن أن أتقاسم رجلاً أحبه مع امراةٍ أخرى ..

و أنسحب من أيّ وليمةٍ يتمدّد على مائدتها ( رجل ) !

لا أعرف بَعدُ ..

كيف أكون مسماراً مصبوغاً بلون الحائط ..

لا ينتبه لوجوده أحد ..

لا أعرف كيف أكون عنصراً مُحلَّقًا بدائرةٍ تضمّ مجموعةً متشابهة ..

ناتئةً أحيانًا ..

غائرةً أحيانًا ..

لا أعرف كيف أستوي على سطحٍ ..

تتماثل فيه رؤوس الأشياء !

أعتقد بأني قد تغيَّرتُ كثيراً ..

غير أنّي لم أختبر ذلك فعلياً ..

و لا أدري ما الذي سأفعله فيما لو كان هنالك ظِلٌ آخر ..

ليس بظِلّك ولا ظِلّي !

لطالما عبثتُ بقرون استشعاري ..

عكفتُها ..

قَصَصْتُها ..

أشعلتُ كبريتاً في منابتها ..

نتفتُها ..

لاكتفي بما أرتَطِم به دون سابق شعور ..

أو ما يطفو ميتاً على السطح ..

لكنها سرعان ما تعاود نموّها ..

وترهقني !

ما تقوله من تلقاء نفسك يكفيني . .

لا ما تنبشه الأصابع والأسئلة !

نصف الحقيقة مريحٌ أحيانًا . .

الحقيقة الكاملة مؤلمة !

أعرف أكثر مما تتوقّع . .

و أصمت أكثر مما أتوقع !

يحدث أن يكون بيني وبين الحقيقة نقرةٌ واحدة . .

لا أنقرها لأن الكذب أجملُ أحيانًا . .

ولأن قدرتي على الغفران في تناقصٍ مستمرّ . .

فإنّي أتعمّد كثيراً ألاّ أعرف . .

و أشيح بوجهي إلى الفراغ . .

و أطرق الباب قبل أن أقاطع خلوتك !

قلبي الذي كان منفضة سجائرٍ لوقتٍ طويل . .

تُدهَك رؤوسها على جدرانه . .

أريد له أن يستريح !

دعني لا أصارع وساوسي ..

دعني أحبك بلا خوف ..

بلا حيرة ..

دعني أصنع فنجانين من القهوة كل صباح ..

أوقظك بقبلة ..

أغنّي حين أستحمّ ..

أركض راقصةً و أدور بفساتين قصيرة ..

أقف على طاولة الطعام ..

أقرأ عليك قصائدي بمايكرفون وهمي ..

و أنحني قليلاً حين أنتهي ..

فتهتف أنت وحدك وتُصفّق !

دعني أحبك بخشوعٍ كامل ..

دون أن ألتفت إلى خوفي !

ليس هنالك ماردٌ يظهر من الإبريق . .

ليسألني في أشدّ حالاتي حزنًا : ماذا يسعدكِ ؟

هنالك كتفٌ أتوسّدها دون أن أكترث للوقت . .

دون أن أخشى تذمّرها . .

هنالك ( أنت ) !

ستجد في طريق البحث عن شيء . .

شيئًا آخر لم يكن في الحسبان . .

شيئًا يصبح له من الأهمية . .

ما يُنسيك الشيء الذي كنتَ تبحث عنه في الأساس !

( كنتُ أبحث عن ذاتي فعثرتُ عليك )

نبتعد قليلاً ..

مسافة ذراعٍ في رقصة التانغو ..

لا تُفلِتُ فيها أيدينا ..

لتعود ..

و تشدّني إليك بلياقةٍ نفهم أنّها سرّ بقائنا ..

لكننا لا نفترق !

أختبر قدرتي على المكوث بمفردي ..

عندما لا شيء يفصلنا سوى ( امرأةٍ أخرى )

عندما يخضع الاشتياق لقانون الأدوار ..

و المتبقّي من حاصل قسمة رجلٍ على امرأتين ..

إحداهما لا تقبل الأشياء التي تأتي على هيئة بسطٍ ومقام !

أعرف الآن أكثر من أيّ وقتٍ قد مضى ..

أنّ الفراق ليس هو أسوأ ما يمكن أن يحدث بين قلبين متحابّين !

الأسوأ من ذلك أنّ يتوقّف أحدهما عن الحب دون أن يرحل . .

ويتذوّق الآخر أصنافًا من الإهمال الـمُملّح بإسراف !

و الأسوأ من أن يتوقف أحدهما عن الحب . .

أن يتوقّع الآخر أن يعود إليهما الحب كما كان . .

ويظلّ ينتظر !

قل شيئاً أشدُّ به أزر اشتياقي ..

أشاغب به فراغ الوقت دونك ..

أسدّ به أفواه الظنون !

كلمةً على سبيل التشفّي ..

نكزةً على سبيل الخطأ ..

سؤالاً على سبيل التغابي ..

شيئاً من شأنه أن يتدحرج في الهواء ..

ثم يسقط .. و يحرّك الماء الراكد بيننا !

أنا والقهوة و الصباح وعطري ..

كلنا ننتظرك !

يمكنك أن تأتي على هيئة ( سولبادين )

أتناولك مرةً وحيدةً على سبيل الضرورة ..

ثم تعود لتستأنف غيابك !

دائماً هنالك مُتَسعٌ للصمت . .

مُتَسعٌ للغياب . .

مُتَسعٌ للتلاشي . .

مُتَسعٌ للثأر . .

للفعل ، لردة الفعل . .

لتسديد اللكمات . .

لتلقين الدروس . .

لإعادة تربية الكبار . .

لإصلاح أيّ عربيد . .

لرسم الحدود . .

لمحوها . .

إلاّ الحب . .

ليس هنالك مُتَسعٌ للاعتراف به . .

قُلها الآن . .

و لا تنتظر الغد !

يحدث أن تكون لأرواحنا كتفان ..

يصطدمان في زحام ..

أحدنا يتناثر ..

والآخر يمضي وكأنّ شيئًا لم يكن !

ليس بالضرورة أن تكون الأول ..

ليكون لك الوقع الأكبر ..

فقط دعني لا أرى فيك وجوه الآخرين ..

دعني أراك أنتَ في وجوههم !

حوّل ارتباط الأشياء إليك ..

تحوّل أنتَ برمّتك إلى ممحاةٍ ضخمة ..

وتعال نكتب قَدَرًا جديدًا يجبّ ما قبله !

على خلاف ما تسأله النساء في العادة :

( أتحبّني ؟ )

أنا أسألك :

هل تشعر بأني أحبك ؟

و كيف تعرف أني حين أقولها أعنيها ؟

و حين لا أقولها . .

كيف تعرف أنّي لا أخفيها ؟

رسالة من المرأة التي سأكونها بعد عام :

مساء التأ ( خير ) . .

على افتراض أنّي ما زلتُ على قيد الحياة ، و أنّ كل ما هو قيد إنشائك ؛ قد اتممتُه ، و أنّ ما تسهرين الآن على سقايته ؛ قد أثمرني ، بل و إنّي ثمرةٌ ناضجة ، و مُبلّلة ، و متدلّية ، و أكاد أسقط من ثقَلي ، أو أنّي قد سقطتُ بالفعل ، و انفلجتُ إلى نصفين أحمرين و انتهى الأمر . ماذا بعد ذلك ؟

هل يُفترض بي ان أكون افضل حالاً منكِ ، و أن أكون سعيدةً لمجرّد أنّي في زمنٍ لم يأتِ بعد ؟ أشعر بالإعياء ، لأنك تفوّضين إليّ أمرَ أحلامكِ المؤجّلة كلها ، أنّى لي أن افعل كل ذلك في عامٍ واحد ؟

تعتقدين بأنّ المكان هنا أنيقٌ كمجلّة . حسنًا ، إنّه ليس بالمستحيل ، كما أنّه ليس بالمؤكد . اقرئي العبارة مرةً أخرى : ( إنّه ليس بالمؤكد ) . أصبتُ موضع الألم . . صح ؟

لا أحد يعرف إلى أيّ مدى تشكّكين ، في روعة الأشياء المتاحة والمباحة بقدر ما أعرف أنا ، تريدين الحقيقة عارية ، عاريةً تمامًا ، دون حتى أصغر سروالٍ داخليّ ! ثم تتألّمين ، لأنها كانت بثيابها أجمل . .

تريدين أن تعرفي أين أعيش ، أنا مثلكِ لا أعرف عنواني ، لكنني على الأرجح ، في حجرة بيضاء ، بجسدٍ نحيل ، أقرأ رسائلنا قبل عام ، و أعرف ما تجهلينه الآن !

ندى - عندما رفعتُ سقف كفايتي بك -

ريما جدة

٢٦ يوليو ٢٠١٦ م

# رجلٌ مُهدَّدٌ بالانقراض



علّمني الرسم أن أحترم النقطة

و أنّ للمحاة دوراً آخر غير إزالة الخطأ

و أنّ شيئاً تافهاً و صغيراً قد يصنع الفرق !





جزءٌ من اعتنائي بنفسي

أن تبقى معي





خُلق السـيئون في هذ العالم ليُعززوا تفرّدك

فالحمدلله عليك !



عنّي ..

عن الأحاديث التي تنام في فمي ..

و أستيقظ فلا أجدها ..

كنتُ سأخبرك ..

عن التفاصيل الصغيرة التي لم تنتبه لوجودها ..

عن الغيرة التي أخبّئها كجريمةٍ تستوجب القصاص ..

عن الأشياء التي نستميت في سبيل امتلاكها ثم نهملها ..

عن أعقاب السجائر التي أختلسها من منفضة الآخرين ..

عن الصمت الذي نسج معه العنكبوت خيوطه على فمي ..

كنتُ سأخبرك ..

عن الأشياء التي نبكيها بعد فوات الأوان ..

عن الحقيقة التي نكتشفها متأخرًا ..

عندما لا يعود بوسعنا أن نغيّر شيئًا ..

عن الوغد الذي اخترق صدري ..

ليعبرني الآخرون من بعده كنفق !

عن السفينة التي أبحرَتْ بعيداً بينما كنتُ أغرق ..

عن الأمنيات التي تساقطت كجنودٍ على رقعة الشطرنج ..

كنتُ سأخبرك ..

عن أوّل ورقةٍ ماليّةٍ حصلتُ عليها بمجهودي ..

عن الأبواب الحديديّة الضخمة ..

التي تنغلق بقوةٍ كلما شارفتُ على الخروج !

عن أحمر الشفاه الذي أجدّده كلما أوشكنا أن نلتقي ..

ثم ألعقه و أبتلعه كلما تراجعتُ عن ذلك ..

عن عدد المرات التي تعثّرتُ فيها قبل أن أصل إليك . .

عن المرّة الأولى التي صادفتُك ورسمتُ حولك دائرة . .

عن الحيلة التي دبّرتُها لتصطدم كتفانا !

عن المآرب الأخرى التي أقصدها من وراء ذلك . .

عن المرات التي كِدتُ أعترف فيها بكل هذا وتراجعت !

كنتُ سأخبرك . .

ولم أفعل !

هل تنزوي سريعاً في ركنٍ ما ..

و تُقلّب مقتنياتك الجديدة من الكتب بنشوة ..

كما يلعق أحدهم أصابعه ليعدّ النقود التي جمعها ؟

أنت إذاً تُشبهني !

خياراتنا المتشابهة ..

التقاؤنا في شرفةٍ داخل كتاب ..

خروجنا من فصلٍ إلى آخر بيدين متشابكتين ..

تسكّعنا في شوارع مدينةٍ لم نزُرها قط ..

انزواؤنا بين صفحتين متقابلتين ..

لهاثنا عند النقطة الأخيرة من السطر الأخير ..

هل تعرف نعيماً أكثر من هذا ؟

أنا لا أعرف !

على سبيل تحديث البيانات :

أحبك !

جئتَ مفصّلاً على مقاس ذائقتي ..

كحُلم ..

كخدعةٍ سينمائيّةٍ بجودةٍ عالية ..

كصورةٍ دعائيّةٍ لماركةٍ عالمية ..

كأيُ أمنيةٍ كانت تبدو مستحيلة ..

كأيّ شيءٍ كنّا نظنّ أنه لا يخصّنا ..

و أنه مخلوقٌ من أجل أناسٍ آخرين !

أخبّئك بين طيّات ألبستي ..

و يفوح عطرك مُفشياً سر الحكاية ..

بالمناسبة ..

كيف أبقى مهذّبةً في حضرة عطرك ؟

وبين كل الأشياء التي تجمعنا ..

يبقى هنالك أمرٌ واحدٌ يفصلنا ..

ويشقّ الأرض تماماً عند ملتقى قدميّنا ..

فتتلاشى قُبلةٌ كانت توشك أن تكون !

إنها لُعبة الحياة يا عزيزي ..

أن تُصيّرَنا قططاً يتدلّى أمامها حبل ..

ترفعه كلما أوْشَكَتْ أن تقبض عليه أيدينا !

امنحني رجلاً مثلك ..

أتوسّد كتفه لأشاهد فيلماً ..

بينما أصابعه تُمشّط شعري الممشوط أصلاً ..

و أعدك ألاّ أحزن !

امنحني رجلاً يُقنعني ..

ويغلب جيوش الشك في رأسي ..

أبتسم حتى لكلامه العادي جداً ..

و أواصل الحديث إليه في المنام ..

امنحني رجلاً متبخرًا يتغلغل في رئتيّ ..

سائلاً تتشرّبه المسام !

مُتَقداً تذوب على جسده قوالبي الثلجيّة ..

يعجن قلبي و يخبزه ويلتهمه كشطيرةٍ شهيّة !

امنحني رجلاً يعيرني كتباً مشبعةً برائحة عنقه ..

مُلغّمةً بخطّه الأنيق ..

يشاطرني القراءة الجهرية للحوار في رواية ( هما )

و يُنصِتُ إذا حان دوري !

امنحني رجلاً لاهثاً على الدوام ..

أسقط عليه كقطرةٍ وحيدة ..

يمسح الأتربة عن قلبي المهجور ..

و يُشعل في عتمته شمعة ..

رجلاً يقرأ صمتي ..

و يُترجم حاجاتي الأعجمية !

امنحني ذلك و أعدك ألاّ أحزن ..

أعدك أن أكون قِطاً متبلّداً ..

لا يكترث لأيّ حبلٍ يتدلّى بعدك !

أحبّ كل ما تدسّه في أذني ..

ثم تختمه بـ ( لا تخبري أحداً )

كل ما تهمس به لي وحدي ..

و يُشكّل كارثةً فيما لو سمعه الآخرون !

أحب حتى جروحي التي انتهت بك ..

و أحب كوني ثمرة انتظارك الطويل ..

أحبك حين تكتب إليّ ..

و أحبك لأنك تحب ما أكتب ..

و أحب الكتابة إليك ..

و أكتب عن حبك ..

لأن الحبَّ في أوّله جميلٌ و أبديّ ..

فكّر معي في نهايةٍ مختلفة ..

تكسر قانون النهايات الـمُعَلّبة !

كلهم يرحلون ..

ما الجديد ؟

لا جديد في رحيلك ..

الجديد في بقائك ..

لأن جميعهم بادئ الأمر ملائكةٌ تمشي على الأرض ..

افعل شيئًا مختلفًا ..

شيئًا يصلح حتى الشيخوخة !

نحن لا نموت حين تفارقنا الروح وحسب ..

نموت قبل ذلك حين تتشابه أيامنا ونتوقف عن التغيير ..

حين لا شيء يزداد سوى أعمارنا و أوزاننا !

عندما أعود إلى نفسي قبل عام ..

و أسترجع نظرتي للأشياء التي لم أكن قد فعلتُها بعد ..

بعضها كان يبدو مستحيلاً كطاقيّة إخفاء ..

و شاهقًا بعضها كناطحة سحاب ..

وثابتًا بعضها كعمود إنارة !

و آمنًا بعضها كمحراب صلاة ..

وبعضها كان يبدو خلاصًا !

بعضها كان مُبجّلاً ..

و بعضها كنتُ أستهين به !

وبعضها كان لا يبدو أنه يخصّني بأيّ حالٍ من الأحوال ..

وبعضها لم يكن مرئيًا من الأساس في قائمة تصوّراتي !

ثم تميع الأشياء لتنتصب في شكلٍ جديد ..

في دهشةٍ من اختصاص القَدر !

وأدرك بعد كل شيءٍ أبتلعه ..

وكل شيءٍ ما زلتُ أمضغه ..

أن ( كل ) شيءٍ ممكنٌ ..

حتى أنت !

أشعر بأن داخلي نظيفٌ ومرتّب ..

وأنّ هنالك – إلى جانب كل حُلمٍ قديمٍ تحقّق –

مُتّسعًا لمزيدٍ من الأحلام ..

أحلامٌ ما كانت لتكون حُلمًا إلا معك !

وبعيدًا عمّا يمكن أن يحدث غدًا ..

أو بعد خمس دقائق ..

الآن تحديدًا أنا أحبك ..

ولا يحتمل الأمر ترجمةً أخرى لتفهم ذلك !

أجمل لحظاتنا معاً ..

دائماً هي ( الآن ) ..

ليس من العادي أبداً ..

أن ألتقي شخصاً يصالحني مع الحياة إلى هذا الحد ..

إلى حدّ أن تفقد الإحساس بالخوف ..

و لا تعود تُشكّل لك الهاوية ذُعراً يُذكر ..

إلى حدّ أن تنسى أنه قد مضى على وجودك في هذه الحياة ..

ما يكفي لتُنجب نصف دزينةٍ من الأطفال لكنك لم تفعل ..

ولن تفعل ..

لأنك مشغولٌ بطفلٍ واحدٍ في صدرك يأبى أن يكبر !

شخصٌ يشاطرك الجنون ..

كما لو أنه أنت في مكانين ..

يملؤك بالشكّ أن المرآة قد تكذب حينما تعكس جسدين متعانقين ..

و أنّ الأحلام لا بدّ أن تكون قد رتّبت كل هذا في منامٍ قصير !

لا تكن رائعًا إلى الحدّ الذي يُعقّد الأمر . .

ويُبقيني عالقةً ما بين قرارين !

افعَل شيئًا خارقًا يحسم حيرتي . .

أو شيئًا سيئًا يستفزّ كلاب الحراسة في دمي !

تظاهر بأنك العاقل الأخير في هذا الكون المكتظّ بالحمقى والمجانين !

اخْدَعني . .

أحبّ أن تخدعني بمهارةٍ تفوق تحذلقي . .

أشطرني بدهائك إلى نصفين . .

أعدك أن يَنْبُتَ لي في كلّ نصفٍ ذراعين تحتضنك !

إذا أردتُ أن أعرف ..

ما إذا كنتُ لا أزال أحبك أم لا ..

أتخيّلك في خلوةٍ مع امرأةٍ أخرى ..

و أراقب قلبي ..

عندما يبدو له الأمر عاديًا ..

كنشرة أحوالٍ جوية ..

أعرف حينها أني ما عدتُ أحبك !

المواقف التي تُشعِل فتائل الغيرة في صدري ..

ينطفئ اكتراثي بعدها ..

و لا أعود أحبك بالكيفية ذاتها ..

ذلك لا يحدث من تلقاء نفسه ..

أنا أرشفتُ لك صوراً سيئةً في مخيّلتي ..

أتعمّد استحضارها إذا ما شعرتُ بالألم ..

إذا ما أردتُ أن أراك عاديًا جدًا لأستريح ..

لذا .. حاول ألاّ تجعلني أغار !

لقد أفسدني السيئون قبلك ..

أعترف !

تعلّمتُ بفضلهم كيف أنتشلني ..

إذا ما انجرف كل شيءٍ نحو الهاوية ..

لأشاهد السقوط من زاويةٍ جميلة ..

يمكنها أن تكون صورةً فوتوغرافيةً تصلح للبيع ..

تعلّمتُ كيف أنسلخ كوغدة ..

تضحك فوق الحطام بصوتٍ مرتفع ..

و تهزّ وركيها إذا ما قرعَتْ الكوارث طبولها !

يبدو ذلك قاسياً جداً ..

أعرف !

و أعرف أيضاً بأنك مختلف ..

و أن وسائلي الدفاعية هذه ستصدأ كثيراً معك !

أستطيع أن أتخيّل مقبض الباب الذي سنُغلقه خلفنا ..

- إن نحن التقينا -

واستدارة المفتاح .. وصوت انغلاقه !

أستطيع أن أتخيّل انحسار اللحاف عن ساقك ..

بقايا القهوة الجافة على جدران فنجانك ..

تعرّجات قميصك الذي انتظرك طويلاً لتستيقظ ..

تثاؤبك ..

عطاسك ..

حزنك ..

و انتشاؤك ..

أستطيع أن أتخيّل عدد الكتب التي ستملأ حوائطنا ..

ألبوم صورنا ..

سلة غسيلنا ..

هديل الحمام على نوافذنا ..

هدير شاحنةٍ مضت على عجالة !

أستطيع أن أتخيّل عناقنا . .

انعكاسنا على الزجاج والمرايا . .

تشابكنا . .

قصائدَ تكتبها على ظهري و أُجاهد لأقرأها !

شجارنا . .

شتائمنا . .

واعتذارنا !

أستطيع أن أتخيّل حتى النملة . .

التي تحمل فتات الخبز وتمضي غير آبهة بنا . .

لكني لا أستطيع أن أتخيّل الحياة دونك !

الفقاعة التي لا ألمسها ..

أعرف أنها ستنفجر أخيراً من تلقاء نفسها ..

لكني أريد لها أن تتأخّر قليلاً ..

الوردة التي أضعها في آنية ممتلئة بالماء والسكر ..

أعرف أنها ستذبل أخيراً ..

لكني أريد لها أن تتأخّر قليلاً ..

أسماك الزينة التي أعتني بها جيداً ..

أعرف أنها لا تعيش طويلاً ..

لكني أريد لها أن تتأخّر قليلاً ..

العصفور الذي أتجنّب أن يراني ..

أعرف أنه سيطير أخيراً ..

لكني أريد له أن يتأخّر قليلاً ..

انا و أنت ..

تفرّدنا ..

توافقنا ..

انصهارنا الكامل ..

كل الأشياء الجميلة بيننا ..

أعرف أنها تؤول إلى الزوال بفطرتها ..

لكني أريد لها أن تتأخّر ( كثيراً ) !

لكي تبقى ( أحبكَ ) طازجةً وشهيّة ..

كما في أوّل اعتراف ..

أحتاج إلى كثيرٍ من الشقاوة والدهاء ..

أحتاج إلى يديك مختبئتين خلف ظهرك ..

و عينيَّ مُغمَضتين بأمرك !

إلى دهشةٍ تسبق توقّعي ..

و قُبلةٍ تقاطع كلامي !

لكي تبقى ( أحبكَ ) ساخنةً وطريّة ..

كما في لحظة عناق ..

أحتاج إلى سرٍّ مُشترَك ..

إلى رسائلٍ بخطّ يدك ـ لم تُكتَب بهدف النشر ـ

إلى وشوشةٍ طويلة ..

و إغفاءةٍ تمتدّ إلى الفجر ..

تمتزج عندها أنفاسك ومنبّه الخامسة !

لكي تبقى ( أحبكَ ) صادقةً و أبديّة ..

كما في لحظة بكاء ..

أحتاج إلى إخلاص الخلوة ..

و اعتزاز العلن ..

أحتاج إلى ( يوسف ) !

لكي تبقى ( أحبكَ ) مسألةً قدريّةً ..

كما في الموت والحياة ..

أحتاج إلى عطرك على وسائدي ..

وثيابنا مُبلّلةً على حبل الغسيل !

أحتاج إلى تذكرتين ..

نفضَ بهما بكارة السَّفر ..

و أجرّب عندها الإغفاءة على كتفك ..

أحتاج إلى أمانٍ لا أكترث معه لمقبض الباب ..

لألقي على الأرض خوفي وملابسي !

الأمر معقدٌ للغاية يا صديقي ..

ولا تنزعج إن قلتُ ( صديقي )

لأني أدركتُ قبل البارحة فقط ..

بأن الصداقة أكثر لياقةً من الحب ..

أكثر إنصاتاً ..

أكثر تفهّماً ..

أقوى مناعةً ..

و أطول أجلاً ..

يا صديقي الذي أحبه :

يا حبيبي الذي أصادقه :

يا رجلاً مُهدّداً بالانقراض :

أنا خائفةٌ ومحتالة !

أحتال حين أخاف منك أو عليك ..

و أخاف لأني حين أحتال .. أفقد شيئاً كان مُدّخراً منّي إليك !

ولأنّي رأيتُ جبين الحب يتفصّد عرقًا ؛

جعلتُك في ومضة الجزع صديقي . .

إنّها محاولة الاحتفاظ بك في وقتٍ بات كل ما فيه زلقًا ورخويًا . .

لا أكترث لكون الأمر صائبًا . .

بقدر ما أكترث لكونه مُجديًا . .

فما جدوى أن يكون أحدنا على حق والآخر مذنبًا ؟

في أحسن الحالات ؛ سنبقى جافّين ، متشقّقين . .

و في أسوئها ؛ سنفترق !

لنكن إذًا مُذنبينْ ( معًا )

على أن تبقى كتفانا وسادتين ناعمتين

لرأسٍ مُثقلٍ بخفايا اللذة والألم !

- كُن صديقي - بصوتي حين أقلّد صوت ماجدة ..

منذ التقيتُك والناس تعبر من أمامي ..

كأمتعة السفر على البساط الكهربائي في المطار ..

لا أحد يُحرِّك ساكني ..

وحدك حقيبتي التي أندفع إليها إذا ما رأيتها ..

و أمضي بها إلى حيث تكون وُجهتي !

أحبك حين تكون صديقي !

لو أنّ كل ما يتكرّر نملّهُ ..

لـملَلْتُ القهوة والقراءة ..

لا شيء قبل القراءة إلا القهوة ..

و لا شيء قبل القهوة إلا أنت !

في تكرارك متعةٌ تحملني إلى الإدمان ..

يهرش الشوق جسده ..

ويفرك أنفه على ظهر كفّه حين تنام !

أنا في مُخيّلتكَ الآن ..

مُخيّلتُكَ هي مقهاي الأثير ..

أتوسد كلماتك القليلة ..

و أستريح قليلاً من وعثاء الطريق إليك ..

هل يُسمح بالتدخين في مُخيّلتك ؟

خذني في مشوارٍ قصير ..

ما بين صدرك وقميصك ..

حيث تتقوّض وسائلي الدفاعيّة ..

و أتحوّل إلى موجةٍ غنائية ..

تلامس قيعان شغفك ..

وانساني هناك ..

أحب هذا النوع من النسيان !

افسح الطريق لعقلك ..

دعه يذهب إلى أيّ حجرةٍ مجاورة ..

وتعال نتحدّث قليلاً كمجنونَينْ على شجرة ..

بجوربين متناقضين ..

و قمصين مقلوبين !

تخيّل انّ فمي جِعَةٌ ..

انّ أصابعي لفائف تبغٍ ..

انّ في حوزتك قدّاحة ..

و تعال نتبادل الشتائم والقُبل ..

نسخر من ظِلالنا الطويلة ..

و نضحك على جدّية العالم !

رسالة إلى المرأة التي كنتُها قبل عام :

وأخيراً ، تجاوزتُ عنق الزجاجة . لا أستطيع سداد الفواتير التي تأتي على شاكلة ساقين منفرجتين ، لذا أفعل كل شيءٍ بنفسي !

الآن فقط أستطيع أن أقول بأنّ لديّ فائضٌ من الوقت لنتحدّث عن أيّ تفاهة ! الآن فقط أستطيع أن أنام حتى ترسم الوسادة تجاعيدها على خدّي ، أستطيع أن أدفن أنفي بين دفّتيّ كتابٍ لطالما حملتُه معي في كل مكانٍ دون أدنى فسحة للقراءة . الآن ، وقد سئم الجميع انشغالي ورحلوا ، أتعرّف إلى أصدقاء جُدد ، سيفيض بهم الكيل أيضًا في دورة انشغالي القادمة ويرحلون ! أعود إلى ظفيرتي الجانبيّة ، إلى الميزان ، إلى أرجوحتي الصدئة ، إلى الغناء من النافذة الكئيبة ، إلى البحث عن شيءٍ مجهول ، أعرف بأنه قريبٌ جداً ، لكنني لا أعرف له كُنيةً ولا صفة .

وعلى سبيل الثرثرة وحسب ، عاد الرجل اليتيم ! عاد ليقتصّ لكبريائه المخدوش في رسالتي الأولى إليكِ ! باستخفاف شخصٍ لم يعُد لديه – على حدّ قوله – ما يخسره ! متخندقًا في أوهامه القديمة ، بتراجيديّةٍ يُتقنها جيداً ، يُبارز بها المرأة التي أطفأ الأوغاد على قلبها أعقاب سجائرهم !

وعلى خلاف ما أبدو عليه ، و ما يعتقده الآخرون عني - بمن فيهم أنتِ - كنتُ أثق به على نحوٍ يثير الآن شفقتي على نفسي !

كان لا بُدّ من مُضيّ زمنٍ طويل ، قبل أن أُدرك أنّه ليس بالضرورة أن تكون هنالك أسبابٌ قهرية للغياب ، إذ يكفي أن يتأخّر أحد الطرفين في الردّ على رسالة الآخر ، حتى تُرفع أعلام النهاية !

الأمر ببساطة شديدة ، هو أنّي ملأتُ ذاكرتي بتفاصيل كثيرة ، حتى صار العثور عليه يُشبه العثور على قُرطٍ سقط في الزحام !

أنا أبذل مجهوداً لأنتقي الكلمة المناسبة أكثر من تلك الحقيقية ، الكلمة التي لا تؤذي أحداً بعينه في ظاهرها ، و تظلّ عائمةً في غموضٍ شفّاف ، لكنها تعرف طريقها جيداً إذا ما سافرت على ظهر موجةٍ طارئة !
في الغالب أنا أخسر الكثير من العلاقات ، في هذا التوقيت من العام تحديداً ، شخصٌ واحدٌ فقط بمقدوره أن يصمد ، شخصٌ لصدره سعةٌ كصدر أم !

يكفي أن ينظر أحدهم إلى حقائبي التي لم أُفرِغها منذ أعوام ، ليعرف عن أيِّ وجعٍ أتحدّث . منذ خمسة عشر عامًا ، أو ربما أكثر - لم أعُد أهتمّ أن أتذكّر - أسافر على متن حقيبة ، إلى حيث أظنّ أني أعلم ، ثم لا أصل ، ولا أعود ! كطائرٍ حلّق ذات فرح ، تجاوز نطاق الجاذبية ، ضاع في الفضاء ، و نسيتْهُ الأرض !

أتوقّف ما بين السنة والأخرى لأكتب عن ذلك ، فأكتشف أني ميّتة منذ زمنٍ طويل ، و أنّ من يكتب هنا هو طيفي الذي تأخّر في اللحاق بي ، كي لا تحزن أمي !

ندى - مطار هيثرو -

١٤ نوفمبر ٢٠١٥ م

السابعة مساءً بتوقيت لندن

هل سبق أن تحدّثتَ كثيراً ..

حتى شارف الوقت على الانتهاء ؟

وشعرتَ في نهايته بأنك لم تقُل ما كان ينبغي لك أن تقوله ؟

و أنّ ما قلتَه كان بمقدورك أن تقوله بطريقةٍ أفضل ؟

و أنك أسهبتَ حيث ينبغي أن تختصر ؟

و أنّ ما ختمتَ بهِ حديثك كان من الأولى أن تستهلّه به ؟

و أنك لم تبدأ بعد ؟

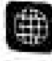
هذا ما أشعر به الآن !

جاري الكتابة ...

11:59 م


 @i__nada

 www.nada11.com


ثقتي بك عود ثقابٍ
لا يمكنك أن تستعمله مرّتين!